

البيان في حقيقة العدل والإحسان

المؤلف

محمد أولى بن المنذر الأنصاري

المدينة النبوية

على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم

③ محمد اولى المنذر الأنصار : ، ١٤٢٣هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الأنصاري ، محمد اولى المنذر
البيان في حقيقة العدل والإحسان. / محمد اولى المنذر الأنصاري.
المدينة المنورة ، ١٤٢٣هـ
١٠٠ ص ، ٢١ سم

ردمك: ٠-٩٦٩-٤٣-٩٩٦٠

١- العدالة في السلام ٢- الأخلاق الإسلامية أ. العنوان
ديوي ٩، ٢٥٧ ١٤٢٤/١١٩٨

طبعة على نفقة فاعل خير صدقة عن والديه

بسم الله الرحمن الرحيم

العدل

هو من عدل يعدل عدلاً ، والعدل في الاصطلاح هو القسط والإنصاف والوسط ، وهو ضد الجور والإساءة وتجاوز الحد المشروع في كل شئ قال الله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَنِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ النحل آية : ٩٠ .

الحمد لله الذي أمر عباده بالعدل وقام به في حكمه بين عباده وجميع خلقه ، والصلاة والسلام على من أرسله رحمة للعالمين شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه الهدات المهتدين الذين ماتركوا باب عدل إلا فتحوه ولا باب شرك وكفر وظلم وجور إلا هدموه وأغلقوه .

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

يقول الفقير إلى رحمة ربه وغفرانه : محمد أولى بن المنذر الأنصاري : لما كان الفوز بالدارين متوقفاً على العدالة ، والحرمان منهما مرتبطاً بالظلم والجور والعصيان ، أحببت أن أبين ما تيسر من ذلك في غير قصد الإحاطة لعجزنا عن ذلك كطبيعة البشر قال تعالى : ﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً ﴾ وقال تعالى : ﴿ ولا يحيطون بشئ من علمه إلا بما شاء ﴾ وقال ﴿ والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾ إلا أن الشارع من رحمته على هذه الأمة أنه ما كلفهم إلا قدر طاقتهم ووسعهم الحدود قال تعالى : ﴿ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ﴾ ، «وما لا يدرك كله لا يترك كله» .

ولذلك كنت كثيراً ما أفكر في هذا البحث وأكرر تدبر آية سورة النحل المتقدمة وأمثالها التي جعلتها عنواناً لهذا البحث وأفكر في عمومها وشمولها وما تحمله من المعاني

والأحكام والآداب التي هي أساس هذا الدين القيم ، و حياة البشرية السعيدة إلا أنني لا أزال أجد في نفسي صعوبة في خوض هذا الميدان مخافة ألا أوفى بما يستحقه من البيان حتى جد بي العزم بخوض هذا المجال مستعيناً بالله ممثلاً لقوله تعالى : ﴿ فإذا عزمتم فتوكل على الله ﴾ .

وفكرت في النصوص الواردة في الأمر بالبيان والقيام بواجب العلم والنصوص التي تهدد وتذم من قصر في ذلك مثل قوله تعالى : ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ﴾ سورة آل عمران آية : ١٠٤ .

وقوله تعالى : ﴿ إن الذين يكتُمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون ﴾ آية ١٥٩ (سورة البقرة) .

وقوله ﷺ : « نضر الله امرئاً سمع مقالتي فوعاها وأداها كما سمعها » وقوله صلى الله عليه وسلم : « بلغوا عني ولو آية » . الحديث .

وقوله ﷺ : « من كتم علماً ألجمه الله بلجام من النار يوم القيامة » أعاذنا الله من ذلك ، والكل على حسب قدرته

البدنية واستطاعته العلمية لقوله تعالى : ﴿ لا يكلف الله
نفساً إلا وسعها ﴾ .

هذا وأسأل الله العلي القدير أن يرزقني الإخلاص في
العمل وأن يجنبني الرياء والسمعة والغرور كما أسأله التوفيق
والهداية والمعونة في جميع الأحوال وبه أستعين .
وما توفيقني إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .



بسم الله الرحمن الرحيم

هذا بيان ما أملت له لي قريحتي في هذا المجال وأسأل الله المعونة عليه ، قال الله تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** ﴾ سورة النحل آية : ٩٠ .

بيان أقوال علماء التفسير في معنى هذه الآية التي تقدمت في النحل .

قال الإمام محمد بن جرير الطبري : يقول تعالى ذكره « **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ فِي هَذَا الْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَهُ إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ ! بِالْعَدْلِ وَهُوَ الْإِنصَافُ وَمِنَ الْإِنصَافِ الْإِقْرَارُ بِمَا أَنْعَمَ عَلَيْنَا بِنِعْمَتِهِ وَالشُّكْرُ لَهُ عَلَىٰ إِفْضَالِهِ وَتَوَلَّى الْحَمْدَ أَهْلُهُ ، وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ هُوَ الْعَدْلُ وَلَمْ يَكُنْ لِلْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ عِنْدَنَا يَدٌ تَسْتَحِقُّ الْحَمْدَ عَلَيْهَا كَانَ جَهْلًا بِنَا عِبَادَتِهَا وَهِيَ لَا تَنْعَمُ فَتَشْكُرُ وَلَا تَنْفَعُ فَتَعْبُدُ ، فَلَزِمْنَا أَنْ نَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَلِذَلِكَ قَالَ : مَنْ قَالَ الْعَدْلُ**

في هذا الموضع شهادة أن لا إله إلا الله .

ثم ذكر عن علي بن داود عن ابن عباس قوله ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَنِ** ﴾ قال : شهادة أن لا إله إلا الله ، وقوله ﴿ **وَالْإِحْسَنِ** ﴾ فَإِنَّ الْإِحْسَانَ الَّذِي أَمَرَ بِهِ تَعَالَى ذَكَرَهُ مَعَ الْعَدْلِ الَّذِي وَصَفْنَا صِفَتَهُ الصَّبْرُ لِلَّهِ عَلَى طَاعَتِهِ فِيمَا أَمَرَ وَنَهَى فِي الشَّدَةِ وَالرِّخَاءِ ، وَالْمَكْرَهُ وَالْمُنْشَطَ وَكَذَلِكَ أَدَاءُ فَرَائِضِهِ ، ثُمَّ ذَكَرَ رَوَايَةَ عَلِيِّ الْمُتَقَدِّمِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ يَقُولُ : وَالْإِحْسَانُ أَدَاءُ الْفَرَائِضِ ، وَقَوْلُهُ ﴿ **إِنِّي آتَى ذِي الْقُرْبَى** ﴾ يَقُولُ إِعْطَاءُ ذِي الْقُرْبَى الْحَقِّ الَّذِي أَوْجَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ بِسَبَبِ الْقَرَابَةِ وَالرَّحِمِ . ثُمَّ ذَكَرَ رَوَايَةَ عَلِيِّ بْنِ دَاوُدَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﴿ **وَأِنِّي آتَى ذِي الْقُرْبَى** ﴾ يَقُولُ : الْأَرْحَامُ . وَقَوْلُهُ : ﴿ **وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ** ﴾ قَالَ : الْفَحْشَاءُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ الزَّنا وَقَوْلُهُ : ﴿ **وَالْبَغْيِ** ﴾ قِيلَ الْبَغْيُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ الْكِبَرُ وَالظُّلْمُ . ثُمَّ ذَكَرَ رَوَايَةَ عَلِيِّ بْنِ عَبَّاسٍ ﴿ **وَالْبَغْيِ** ﴾ يَقُولُ : الْكِبَرُ وَالظُّلْمُ وَأَصْلُ الْبَغْيِ التَّعْدِي وَمَجَاوِزَةُ الْحُدِّ وَالْقَدَرِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ : وَقَوْلُهُ : ﴿ **يَعْظُمُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** ﴾ يَقُولُ : يَذَكِّرُكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ رَبِّكُمْ لِتَذَكَّرُوهُ فَتَنْتَبِهُوا إِلَى أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ وَتَعْرِفُوا الْحَقَّ

لأهله ثم ذكر رواية علي عن ابن عباس ﴿يعظكم﴾ يقول :
يوصيكم ﴿لعلكم تذكرون﴾ ثم ذكر عن ابن عيينة أنه كان
يقول في تأويل ذلك أن معنى العدل في هذا الموضع استواء
السريرة والعلانية من كل عامل لله عملاً وأن معنى الإحسَن
أن تكون سريرته أحسن من علانيته وأن الفحشاء والمنكرات
تكون علانيته أحسن من سريرته ، ثم ذكر عن ابن مسعود
رضي الله عنه قال سمعت عبد الله يقول : أجمع آية في
القرآن في سورة النحل ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَنِ
وإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى﴾ انتهى الغرض منه .

قال الإمام محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي :

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَنِ﴾ الآية فيه ست مسائل :

الأولى : قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ

وَالْإِحْسَنِ﴾ روي عن عثمان بن مظعون أنه قال لما نزلت هذه
الآية قرأتها على علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فتعجب
فقال : يا آل غالب ! اتبعوه تفلحوا فوالله إن الله أرسله
ليأمركم بمكارم الأخلاق ، ثم قال وفي الحديث : إن أبا طالب
قيل له : إن ابن أخيك زعم أن الله أنزل عليه

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَنِ﴾ فقال : اتبعوا ابن أخي
فوالله إنه لا يأمر إلا بمحاسن الأخلاق ، وقال عكرمة : قرأ
النبي صلى الله عليه وسلم على الوليد بن المغيرة ﴿إِنَّ اللَّهَ
يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَنِ﴾ إلى آخرها فقال : يا ابن أخي
أعد ، فأعاد عليه فقال : والله إن له لحلاوة ، وإن عليه
لطلاوة ، وإن أصله لمورق وأعلاه لمثمر وما هو بقول بشر .

وذكر الغزنوي أن عثمان بن مظعون هو القارئ قال :
ما أسلمت ابتداء إلا حياء من رسول الله ﷺ حتى نزلت هذه
الآية وأنا عنده فاستقر الإيمان في قلبي فقرأتها على الوليد بن
المغيرة فقال : يا ابن أخي أعد علي ! فأعدت فقال : والله إن
له لحلاوة .. وذكر تمام الخبر .

وقال ابن مسعود هذه الآية أجمع آية في القرآن خير
يمثل وشر يتجنب .

الثانية : اختلف العلماء في تأويل العدل
والإحسن ، فقال ابن عباس : العدل لا إله إلا الله ،
والإحسن : أداء الفرائض ، وقيل : العدل : الفرض ،
والإحسن : النوافل ، وقال سفيان بن عيينة : العدل هاهنا

استواء السريرة والعلانية ، والإحسَن : أن تكون السريرة أفضل من العلانية . قال علي بن أبي طالب : العدل الإنصاف والإحسان التفضل ، قال ابن عطية : العدل موكل مفروض من عقائد وشرائع في أداء الأمانات وترك الظلم والإنصاف وإعطاء الحق ، والإحسَن هو فعل كل مندوب إليه ، فمن الأشياء ما هو كله مندوب إليه ، ومنها ما هو فرض إلا أن حد الأجزاء منه داخل في العدل .

وقال ابن العربي : العدل بين العبد وبين ربه إيثار حقه تعالى على حظ نفسه ، وتقديم رضاه على هواه والاجتناب للزواجر والامتنال للأوامر ، وأما العدل بينه وبين نفسه فهو نهيهما عن ما فيه هلاكها ، قال الله تعالى : ﴿ ونهى النفس عن الهوى ﴾ وعزوب الأطماع عن الاتباع ولزوم القناعة في كل حال ومعنى ، وأما العدل بينه وبين الخلق فبذل النصيحة وترك الخيانة فيما قل أو كثر ، والإنصاف من نفسك لهم بكل وجه ولا يكون منك إساءة إلى أحد بقول ولا فعل لا في سر ولا في علن والصبر على ما يصيبك منهم من البلوى وأقل ذلك الإنصاف وترك الأذى ، ثم قال : وهذا التفصيل في

العدل حسن وعدل ، وأما الإحْسَن فقد قال علماؤنا :
الإحْسَن مصدر أحسن يحسن إحسانا ويقال على معنيين
أحدهما متعد بنفسه ، كقولك : أحسنت العمل أي حسنته
وكملمته ، وهو منقول بالهمزة من حسن الشيء . وثانيهما
متعد بحرف جر كقولك : حسنت إلى فلان ، أي
أوصلت إليه فينتفع به .

ثم قال : قلت : وهو في هذه الآية مراد بالمعنيين معاً ،
فإن الله تعالى يحب من خلقه إحسان بعضهم إلى بعض ،
حتى إن الطائر في سجنك والسنور في دارك لا ينبغي أن
تقصر في تعهده بإحسانك ، وهو تعالى غني عن إحسانهم
ومنه الإحْسَن والنعم والفضل والمنة ، وهو في حديث
جبريل بالمعنى الأول لا بالثاني ، فإن المعنى الأول راجع إلى
اتقان العبادة ومراعاتها بأدابها المصححة المكملة لها ومراقبة
الحق فيها واستحضار عظمته وجلاله حالة الشروع وحالة
الاستمرار وهو المراد بقول النبي ﷺ « أن تعبد الله كأنك تراه
فإن لم تكن تراه فإنه يراك » .

ثم قال : وأرباب القلوب في هذه المراقبة على حالين :

أحدهما غالب عليه مشاهدة الحق وكأنه يراه ، ولعل النبي ﷺ أشار إلى هذه الحالة بقوله ﷺ : « وجعلت قررة عيني في الصلاة » وثانيهما : لا ينتهي إلى هذه الدرجة لكن يغلب أن الحق سبحانه مطلع عليه ومشاهد له ، وإليه الإشارة بقوله تعالى ﴿ الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين ﴾ وقوله تعالى : ﴿ إلا كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه ﴾ .

الثالثة : قوله تعالى : ﴿ وإيتاي ذي القربى ﴾ أي القرابة ، يعطيهم المال كما قال تعالى : ﴿ وءات ذي القربى حقه ﴾ يعني صلته ، وهذا من باب عطف المندوب على الواجب ، وبه استدل الشافعي في إيجاب إعطاء المكاتب بعض نجوم كتابته على ما بيناه في كتاب الفقه ، وإنما خص ذوي القربى لأن حقوقهم أكد وصلتهم أوجب ، لتأكيد حق الرحم التي اشتق الله اسمها من اسمه ، وجعل صلتها من صلته : فقال في الصحيح « أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك » ولا سيما إذا كانوا فقراء .

الرابعة : قوله تعالى : ﴿ وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ﴾ الفحشاء كل قبيح من قول أو فعل ، قال ابن

عباس هو الزنى ، والمنكر ما أنكره الشرع بالنهي ، وهو يعم جميع المعاصي والرذائل والدناءات على اختلاف أنواعها ، وقيل : هو الشرك ، والبغي هو الكبر والظلم والحقد والتعدى وحقيقته تجاوز الحد ، وهو داخل تحت المنكر ، لكن الله تعالى خصه بالذكر إهتماماً به لشدة ضرره ، وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم « ولا ذنب أسرع عقوبة من بغي » وقال : عليه الصلاة والسلام : « الباغي مصروع » ، وقد وعد الله من بغي عليه بالنصر ، وفي بعض الكتب المنزلة : لوبغى جبل على الجبل لجعلت الباغي منهما دكاً » انتهى .

قال الإمام أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي في تفسيره : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَنِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى ﴾ الآية يخبر تعالى أنه يأمر بالعدل ، وهو القسط والموازنة ، ويندب إلى الإحسن كقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عَاقَبْتُمْ بِهِ وَلَنْ صَبِرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴾ وقوله : ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَى وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﴾ وقال : ﴿ وَالْجُرُوحُ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ ﴾ إلى غير ذلك من الآيات الدالة على شرعية العدل

والندب إلى الفضل ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : ﴿ **إن الله يأمر بالعدل** ﴾ قال : شهادة أن لا إله إلا الله ، وقال سفيان بن عيينة : العدل في هذا الموضع هو استواء السريرة والعلانية من كل عامل لله عملاً ، والإحسان : أن تكون سريرته أحسن من علانيته ، والفحشاء والمنكر أن تكون علانيته أحسن من سريرته وقوله : ﴿ **وإيتاي ذي القربى** ﴾ أمر بصلة الرحم ، كما قال تعالى : ﴿ **وأت ذى القربى حقه** ﴾ والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيراً ﴾ وقوله : ﴿ **وينهى عن الفحشاء والمنكر** ﴾ الفواحش : المحرمات ، والمنكرات : ما ظهر منها من فاعلها ، ولهذا قال في المواضع الأخرى ﴿ **قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن** ﴾ وأما البغي فهو العدوان على الناس .

وقد جاء في الحديث « ما من ذنب أجدر أن يعجل الله عقوبته في الدنيا مع ما يدخره لصاحبه في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم » وقوله : ﴿ **يعظكم** ﴾ أي يأمركم بما يأمركم من الخير وينهاكم عن ما ينهاكم عنه من الشر ﴿ **لعلكم تذكرون** ﴾ وقال الشعبي عن بشر بن نهيك سمعت بن

مسعود يقول : إن أجمع آية في القرآن في سورة النحل : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَنِ﴾ ، ثم ذكر حديثاً حسناً رواه الإمام أحمد في مسنده عن عثمان بن مظعون أنه كان عند رسول الله ﷺ ، قال له : أتاني رسول الله - ﷺ - - آنفاً وأنت جالس ، قال : قال رسول الله - ﷺ - ؟ قال : نعم ، قال : فما قال لك ؟ قال : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَنِ﴾ الآية ، قال عثمان : فذلك حين استقر الإيمان في قلبي وأحببت محمداً ﷺ ، ثم قال : إسناده جيد متصل حسن قد بين فيه السماع المتصل ، انتهى الغرض منه .

قال فضيلة شيخنا محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي في أضواء البيان في تفسير هذه الآية ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَنِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ، ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أنه يأمره خلقه بالعدل والإحسان وإيتاء ذِي الْقُرْبَى وأنه ينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى لأجل أن يتعظوا بأوامره ونواهيه ، فيمتثلوا وأوامره ويجتنبوا نواهيه ، وحذف مفعول يأمر وينهى لقصد التعميم ،

ومن الآيات التي أمر فيها بالعدل قوله تعالى : ﴿ ولا يجرمكم شأن قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى ﴾ وقوله تعالى : ﴿ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به ﴾ ومن الآيات التي أمر فيها بالإحسان قوله تعالى : ﴿ ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وبالوالدين إحساناً ﴾ وقوله : ﴿ وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض ﴾ وقوله : ﴿ وقلوا للناس حسناً ﴾ وقوله : ﴿ ما على المحسنين من سبيل ﴾ .

ومن الآيات التي أمر فيها بإيتاء ذي القربى قوله تعالى ﴿ فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ذلك خير للذين يريدون وجه الله وأولئك هم المفلحون ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وءاتى ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيراً ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وءاتى المال على حبه ذوي القربى ﴾ الآية وقوله تعالى : ﴿ أو إطعام في يوم ذي مسغبة يتيماً ذا مقربة أو مسكيناً ذا متربة ﴾ الآية .

ومن الآيات التي نهى فيها عن الفحشاء والمنكر
والبغي قوله تعالى : ﴿ ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما
بطن ﴾ الآية وقوله تعالى : ﴿ قل إنما حرم ربي الفواحش ما
ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق ﴾ الآية ، وقوله
﴿ وذروا ظاهر الإثم وباطنه إن الذين يكسبون الإثم سيجزون
بما كانوا يقتربون ﴾ والمنكر وإن لم يصرح باسمه في هذه الآية
فهو داخل فيها ، ومن الآيات التي جمع فيها بين الأمر بالعدل
والتفضل بالإحسان قوله تعالى : ﴿ وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل
ما عوقبتم به ﴾ فهذا عدل ، ثم دعا إلى الإحسان بقوله :
﴿ ولئن صبرتم لهو خير للصابرين ﴾ وقوله ﴿ وجزاء سيئة
سيئة مثلها ﴾ فهذا عدل ، ثم دعا إلى الإحسان بقوله ﴿ فمن
عفا وأصلح فأجره على الله ﴾ وقوله : ﴿ والجروح قصاص ﴾
فهذا عدل ، ثم دعا إلى الإحسان بقوله : ﴿ فمن تصدق به
فهو كفارة له ﴾ وقوله : ﴿ ولن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما
عليهم من سبيل ﴾ الآية ، فهذا عدل . ثم دعا إلى الإحسان
بقوله ﴿ ولن صبر وغفر فإن ذلك لمن عزم الأمور ﴾
وقوله : ﴿ لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من

ظلم ﴿ فهذا عدل ، ثم دعى إلى الإحسَن بقوله : ﴿ إن تبدوا
خيراً أو تخفوه أو تعفوا عن سوء فإن الله كان عفواً قديراً ﴾
إلى غير ذلك من الآيات ، فإذا عرفت هذا فاعلم أن العدل في
اللغة القسط والإنصاف وعدم الجور ، وأصله التوسط بين
المرتبتين ، أي الإفراط والتفريط ، فمن جانب الإفراط
والتفريط فقد عدل .

والإحسَن مصدر أحسن ، وهي متعدية بالحرف نحو
« أحسن إلى والديك » ومثل قوله تعالى عن يوسف ﴿ وقد
أحسن بي إذ أخرجني من السجن ﴾ الآية ، وتستعمل متعدية
بنفسها ، كقول القائل : أحسن العامل عمله ، أي أجاده وجاء
به حسناً ، والله جل وعلا يأمر بالإحسَن بمعنييه المذكورين
فهما داخلان في الآية الكريمة ، لأن الإحسَن إلى عباد الله
لوجه الله عمل أحسن فيه صاحبه ، وقد فسر النبي ﷺ
الإحسَن في حديث جبريل بقوله : « أن تعبد الله كأنك تراه
فإن لم تكن تراه فإنه يراك » فإذا عرفت هذا فاعلم أن أقوال
المفسرين في هذه الآية الكريمة راجعة في الجملة إلى ما ذكرنا
كقول ابن عباس : العدل ، لا إله إلا الله ، والإحسَن أداء

الفرائض ، لأن عبادة الخالق دون المخلوق هو عين الإنصاف والقسط ، وتجنب التفريط والإفراط ، ومن أدى فرائض الله على الوجه الأكمل فقد أحسن ، ولذا قال النبي ﷺ ، عن الرجل الذي حلف أنه لا يزيد على الواجبات ، «أفلح إن صدق» وكقول سفيان : العدل استواء العلانية والسريرة ، والإحسان أن تكون السريرة أفضل من العلانية ، وكقول علي رضي الله عنه : العدل : الإنصاف ، والإحسان : التفضل إلى غير ذلك من أقوال السلف ، والعلم عند الله تعالى .

والفحشاء في لغة العرب الخصلة المتناهية في القبح ، وفيه قيل لشديد البخل فاحش ، كقول طرفة في معلقته :
أرى الموت يعتام الكرام ويصطفى
عقيلة مال الفاحش المتشدد

والمنكر اسم مفعول أنكر ، وهو في الشرع ما أنكره الشرع ونهى عنه وأوعد فاعله بالعقاب ، والبغي الظلم ، وقد بين تعالى أن الباغي يرجع ضرر بغيه على نفسه ، في قوله تعالى : ﴿ يا أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم ﴾ وقوله : ﴿ ولا يحق المكر السيئ إلا بأهله ﴾ وقوله تعالى : ﴿ يعظكم لعلكم تذكرون ﴾ الوعظ هو الكلام الذي تلين له القلوب ،

واعظم ما تلين له قلوب العقلاء أوامر ربهم ونواهيه فإنهم إذا سمعوا الأمر خافوا من سخط الله في عدم امتثاله ، وطمعوا فيما عند الله من ثواب في امتثاله ، وإذا سمعوا النهي خافوا من سخط الله في عدم اجتنابه ، وطمعوا فيما عند الله من ثواب في اجتنابه . فحداهم حادي الخوف والطمع إلى الامتثال فلانت قلوبهم للطاعة خوفاً وطمعاً انتهى الغرض منه .

قال فضيلة شيخنا أبي بكر بن جابر الجزائري في «أيسر التفاسير» ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَنِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ وقوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَنِ﴾ أي إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ فِي الْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَهُ تَبَيَّاناً لكل شيءٍ بِالْعَدْلِ وَهُوَ الْإِنْصَافُ ، وَمِنْ ذَلِكَ أَنْ يَعْبُدَ اللَّهَ بِذِكْرِهِ وَشُكْرِهِ ، لِأَنَّهُ هُوَ الْخَالِقُ الْمُنْعَمُ ، وَتَتْرَكَ عِبَادَةَ غَيْرِهِ لِأَنَّهُ غَيْرُهُ لَمْ يَخْلُقْ وَلَمْ يَرْزُقْ وَلَمْ يَنْعَمْ بِشَيْءٍ ، وَلِذَا فَسَّرَ هَذَا اللَّفْظَ بِ«لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» ، وَالْإِحْسَنُ وَهُوَ أَدَاءُ الْفَرَائِضِ وَاجْتِنَابُ الْحَرَمَاتِ مَعَ مِرَاقَبَةِ اللَّهِ تَعَالَى فِي ذَلِكَ حَتَّى يَكُونَ

الأداء على الوجه المطلوب اتقاناً وجودة ، والاجتناب خوفاً من الله وحياء منه ، وقوله تعالى : ﴿ وَإِتَّأَىٰ ذِي الْقُرْبَىٰ ﴾ أى ذوي القربابات حقوقهم من البر والصلة ، هذا مما أمر الله به في كتابه ، ومما ينهى عنه الفحشاء ، وهو الزنا واللواط وكل قبيح اشتد قبحه وفحش حتى البخل ، والمنكر كل ما أنكره الشرع وأنكرته الفطر السليمة والعقول الراجحة السديدة ، ونهى عن البغي ، وهو الظلم والاعتداء ومجاوزة الحد في الأمور كلها ، وقوله : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ أي أمر بهذا في كتابه رجاء أن تذكروا فتتعظوا ، قلت : واستعمال كلمة الرجاء في حق الله أفضل منه كلمة « كي أو لام كي » لأن الله هو الذي يُرَجَى لا يرجوا غيره من خلقه فتمثلوا الأمر وتجنبوا النهي ، وبذلك تكملون وتسعدون ، ولذا ورد أن هذه الآية ، ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ إلى قوله : ﴿ تَذَكَّرُونَ ﴾ هي أجمع آية في كتاب الله للخير ، وهي كذلك فما من خير إلا أمرت به ، ولا من شر إلا نهت عنه . انتهى الغرض منه فهذه أقوال آئمة التفسير في معنى آية النحل المتقدمة .

وأما ما جاء في غيرها من آيات القرآن فكثير جداً
ونحن نذكر ما تيسر منها زيادة لتوكيد هذا الأمر .

ومن ذلك قوله تعالى ﴿ ليس البر أن تولوا وجوهكم
قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر
والملائكة والكتب والنبيين وعأتى المال على حبه ذوى
القربى واليتمى والمسنكين وابن السبيل والسائلين وفي
الرقاب وأقام الصلاة وعأتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا
عاهدوا والصبرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك
الذين صدقوا وأولئك هم المتقون ﴾ سورة البقرة آية : ١٧٧ .
وقوله تعالى : ﴿ وليكتب بينكم كاتب بالعدل ﴾
البقرة آية : ٢٨٢ .

وقوله تعالى : ﴿ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات
إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ﴾ سورة
النساء آية ٥٨ ، وقوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا
قويمين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الولدين
والأقربين إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما فلا
تتبعوا الهوى أن تعدلوا ﴾ النساء ١٣٥ آية . وقال تعالى

﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا قزوين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى ﴾ المائدة آية ٨ . وقال تعالى ﴿ وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط إن الله يحب المقسطين ﴾ المائدة آية ٤٢ ، وقال تعالى ﴿ وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك ﴾ المائدة آية ٤٩ . وقال تعالى ﴿ يحكم به ذوا عدل منكم ﴾ المائدة : ٩٥ ، وقال تعالى ﴿ وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ﴾ الأنعام آية ١٥٢ ، وقال تعالى ﴿ قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين كما بدأكم تهودون ﴾ الأعراف آية ٢٩ ، وقال تعالى في آية النحل التي جعلتها عنوان البحث آية رقم ٩٠ ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسن ﴾ قد تقدمت مع أقوال المفسرين فيها ، وقال تعالى ﴿ إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها ﴾ الآية الأحزاب آية ٧٢ ، وقال تعالى ﴿ يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى

فيضلك عن سبيل الله ﴿ ص آية : ٢٦ ، وقال تعالى ﴿ وأمرت لأعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا أعملنا ولكم أعملكم ﴾ الشورى آية : ١٥ وقال تعالى ﴿ فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين ﴾ الحجرات آية ٩ وقال تعالى ﴿ وأشهدوا ذوي عدل منكم وأقيموا الشهادة لله ﴾ الطلاق آية : ٢ ، وقال الله تعالى ﴿ أليس الله بأحكم الحاكمين ﴾ التين آية ٨ .

هذا أوان ذكر الحقوق التي تجب العدالة فيها وهي كثيرة جداً ونحن نقتصر على ذكر الأهم منها على ترتيبها في الوجوب .

الأول منها العدالة في حق الخالق على عباده ومنه الإيمان به وبملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر وبالقدر خيره وشره وبربوبيته على جميع خلقه وألوهيته وأسمائه وصفاته وبكل ما أخبر به وما كان وما سيكون من الأمور الغيبية وغيرها وإفراده بالعبادة في جميع أنواعها وطاعته بامتثال أوامره واجتناب نواهيه سراً وجهاً في المنشط والمكروه وتقديم مرضاته ومحبته على ما تهواه نفسه : قال الله تعالى

﴿وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم﴾ الآية من سورة البقرة ، وقال تعالى ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً﴾ الآية من سورة النساء .

وقال تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم﴾ سورة محمد ٣٣ ، وقال تعالى ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة﴾ البينة آية : ٥ ، إلى غير ذلك .

الثاني : العدالة في حق رسول الله ﷺ على أمته ، وهي قرينة من حق الله تعالى في الوجوب إلا فيما يتعلق بالعبادات فإنها لا تصرف إلا لله وحده لا شريك له ، ولكن لا تكون إلا بما شرعه الله على لسان نبيه ﷺ قولاً وفعلاً وتقريراً ، ومن العدالة في حقه ﷺ الإيمان بنبوته ورسالته على جميع الثقلين ومحبته وتقديره المستلزمة لطاعته وتحكيم شريعته واختيارها منهجاً ومنهجاً دون غيرها من جميع النظم البشرية والقوانين الوضعية وبدع المبتدعين وعادات البشرية لأنها هي الصراط المستقيم : قال الله تعالى ﴿لقد كان لكم

في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر ﴿ في
 الأحزاب آية ٢١ ، وقال تعالى ﴿ فثابتموا بالله ورسوله النبي
 الأُمى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون ﴿
 الأعراف ١٥٨ ، وقال تعالى ﴿ قل إن كنتم تحبون الله
 فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم ﴿ آل عمران
 آية : ٣١ ، وقال تعالى : ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ﴿
 النساء آية : ٨٠ ، وقال تعالى ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى
 يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما
 قضيت ويسلموا تسليماً ﴿ النساء آية ٦٥ ، وقال تعالى
 ﴿ ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير
 سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت
 مصيراً ﴿ النساء آية ١٥١ ، وقال تعالى ﴿ فإن تنزعتم في
 شئٍ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم
 الآخر ﴿ النساء ٥٩ ، وقال تعالى ﴿ فليحذر الذين يخالفون
 عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴿ النور ٦٣ .
 وأما من السنة المطهرة فقولهُ ﷺ « والله لا يؤمن أحدكم حتى
 يكون هواه تبعاً لما جئت به » وقولهُ ﷺ « والله لا يؤمن أحدكم
 حتى أكون أحب إليه من نفسه ووالده وولده والناس أجمعين »

وقوله ﷺ « كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى فقيل له : من يأبى يارسول الله ؟ فقال : من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى » وقوله ﷺ « تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك » وقوله ﷺ « من رغب عن سنتي فليس مني » ومن ذلك حديث أبي موسى في فضل العلم واتباع السنة ، وهو ما رواه الشيخان عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، قال : قال النبي ﷺ « مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكأ والعشب الكثير ، وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا ، وأصاب طائفة منها أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كأ ، فذلك مثل من فقه في الدين ونفعه ما بعثني الله به فتعلم وعلم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدي الله الذي أرسلت به » قال الله تعالى ممتناً على هذه الأمة ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾ إلى غير ذلك .

الثالث : العدالة في حق ولات الأمور من المسلمين ،

فهو حق واجب بالكتاب والسنة وإجماع الأمة المعترف

اجماعهم لا يؤثر فيه من شذ عنهم فهو مضروب بكلامه
عرض الحائط كما سيأتي إن شاء الله من قريب ولأن الأمور ما
تستقيم ولا تنتظم إلا بالقيام بواجبهم من الطاعة وبالخروج من
طاعتهم ومعصيتهم تضييع للحقوق ، ومن أهمها حق الله جل
وعلا على عباده من عبادته وحده وطاعته وإقامة حدوده
والعمل بشرعه دون غيره ، وتضييع حقوق عباده التي أوجبها
ويكون الظلم والجور والفساد في الأرض من غير رادع يمنع
ذلك وتستحل الحرمات وينتهك الأعراض وتسفك الدماء
وتنهب الأموال وينتشر الظلم والعدوان ويعم الشر في البلاد
أعاذنا الله من أسباب الشر كلها ، قال الله تعالى ﴿ ولولا دفع
الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ﴾ الآية من سورة
البقرة ، وطاعة ولاة الأمور مصلحة عامة مشتركة بينهم وبين
رعيته ، وكما لا تكون رعية بلا راع كذلك لا يوجد راع بلا
رعية ، والأمران متلازمان ولا تستقيم الأمور إلا بالتعاون
والتناصح بين الطرفين كما أمر الله تعالى في قوله تعالى
﴿ تعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم
والعدون ﴾ الآية من سورة المائدة ، وقال ﴿ إنما المؤمنون إخوة

فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون ﴿١﴾
سورة الحجرات ، وقال تعالى ﴿٢﴾ ولا تنزعوا فتفشلوا
وتذهب ريحكم ﴿٣﴾ .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «الدين
النصيحة قيل : لمن يا رسول الله ؟ قال : لله ولكتابه
ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم» .

وبذلك يعم الأمن والخير والبركة وتتآلف القلوب
وتتقارب وتجتمع الكلمة وتبتعد الضغائن والأحقاد : قال
تعالى ﴿٤﴾ ولو أن أهل القرى ءامنوا واتقوا لفتحنا عليهم
بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا
يكسبون ﴿٥﴾ .

والنصيحة لا تكون بأسباب العداوة والبغضاء
والانتقام والطعن في الدين والتضليل وأظهار العيوب
وإفشائها ، وإنما تكون بدعم العلاقة وتحسينها بين الأمة وولاة
أمورهم بأن يراعي الجميع مصالح الكل ويتعد كل البعد عن
تبع الهفوات والبحث عنها لأن من طبيعة البشر أنه لا يخلوا
من الخطأ والنسيان ، وعلاج ذلك التعاون على البر وبذل

النصح سرّاً لا علانية لأن المؤمنين بعضهم أولياء بعض : والإمام راع لرعيته والرعية راعية لإمامها بالتعاون معه والنصح له ، قال النبي ﷺ « كلكم خطاءون وخير الخطائين التوابون » وهم الذين إذا أخطئوا وذكروا تذكروا ولا تأخذهم العزة من عدم قبول الحق ، والنصح هو من أهم أسباب التوبة ، لأن المؤمن طيب لأخيه يبذل أقصى جهده في معالجته وتوجيهه ، قال رسول الله ﷺ « انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً ، قيل له : عرفنا كيف نصره مظلوماً فكيف نصره ظالماً ؟ قال : تأخذ بيده وتمنعه من الظلم » والناس يختلفون في هذا الأمر منهم من يقدر على الأخذ بيده كما هو ظاهر الحديث ومنهم من لا يقدر إلا بالنصيحة فيما بينك وبينه وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر ، وهذا هو تغيير المنكر باللسان المأمور به في قوله ﷺ « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان » .

والأدلة في وجوب طاعة ولات الأمور مستواتة من الكتاب والسنة وأقوال الأئمة والعلماء المعتبرين السالين من

اتباع الهوى من الصحابة وغيرهم قال الله تعالى ذكره
وتقدسست أسماؤه وصفاته ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله
وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ﴾ النساء ٩٥ . وقال الله
تعالى ﴿ ولا تنزعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ﴾ الإنفال
آية ٤٦ ، وقال تعالى ﴿ ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم
لا يسمعون ﴾ ثم وصفهم بأشنع وصف بقوله تعالى ﴿ إن شر
الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ولو علم الله
فيهم خيراً لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون ﴾ .

ومن السنة قال رسول الله ﷺ فيما رواه الشيخان عن
ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال سول الله ﷺ « على المرئ
المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية فلا
سمع ولا طاعة » وماروه مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما
قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « من خلع يداً من طاعة لقي
الله يوم القيامة لا حجة له ومن مات وليس في عنقه بيعة مات
ميتة جاهلية » وفي رواية « من مات وهو مفارق للجماعة فإنه
يموت ميتة جاهلية » وما رواه البخاري عن أنس رضي الله عنه
قال : قال رسول الله ﷺ « اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل

عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة» وما رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «عليك بالسمع والطاعة في عسرك ويسرك ومنشطك ومكرهك وأثرة عليك» . وما رواه مسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال في حديثه الطويل عن النبي ﷺ «ومن بايع إماماً فأعطاه صفحة يده وثمره قلبه ، فليطعه إن استطاع فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر» وما رواه مسلم عن وائل ابن حجر رضي الله عنه أنه قال : سألت سلمة بن يزيد الجعفي رسول الله ﷺ فقال : يا نبي الله ! أرأيت إن قامت علينا أمراء يسئلوننا حقهم ويمنعوننا حقنا فما تأمرنا فأعرض عنه ، ثم سأله ، فقال رسول الله ﷺ «اسمعوا وأطيعوا فإن عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم» . وما رواه الشيخان عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «إنها ستكون بعدي أثرة وأمور تنكرونها ، قالوا : يا رسول الله كيف تأمر من أدرك ذلك منا ، قال : تؤدون الحق الذي عليكم وتُسئلون الله الذي لكم» وما رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال قال رسول الله ﷺ : «من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن يطع الأمير فقد

أطاعني ، ومن يعص الأمير فقد عصاني» وما رواه الشيخان عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : «من كره من أميره شيئاً فليصبر فإنه من خرج من السلطان شبراً مات ميتة جاهلية» (أي من ابتعد عن طاعته ولو شبراً) وروى الترمذي بسند حسن عن أبي بكرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «من أهان السلطان أهانه الله» قلت : سواء كانت الإهانة بالقول أو بالفعل أو بالمعاملة ... إلى غير ذلك من النصوص التي تحتم طاعة ولاة الأمور ما لم يأمرُوا بمَعْصِيَةِ الله ، لأن حق الخالق مقدم على حق المخلوق كائناً من كان وتندد وتحذر عن الخروج من طاعتهم ولو شبراً ما لم يظهروا كفراً بواحاً لا يحتمل التأويل ، لأن ما يترتب عن الخروج عنهم من المفساد أعظم خطراً على الأمة كلها ، ومقدم على ما يتوقع من مصلحة الخروج عليهم ، ودرأ المفساد مقدم على جلب المصالح ، ولذلك نهى الله عن سب آلهة الكفار درأً لمفسدة سبهم لله .

فيا أخي الداعي الذي يريد الإصلاح والأصلح فكر في عواقب الأمور ونتائجها قبل أن تقدم إلى ما لا تدري عن عاقبته واستعمل علمك وعقلك واسأل أهل الذكر والنصيحة

وأبتعد عن الشيطان وأتباعه وهوى النفس وأطماعها فإنها
 كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده
 شيئاً . فلا تكن ممن يسبب إشعال نار العداوة بين المسلمين
 وخاصة بين ولات الأمور وبين شعوبهم ولا من يسبب انصدام
 الشعوب مع ولات أمورهم لأن ذلك مما يسبب الدمار العام ولا
 تحمد نتائجه ولو جاروا وأخطئوا وظلموا لأن بعض المفساد
 والمنكرات أهون من الكل ، الله الله الله يا أخي من أن تكون
 سبباً في كشف ستار الأمن على دماء المسلمين وأعراضهم
 وأموالهم فالأمور لا كما يتوقعه كثير من الغفلة والجهال ،
 وفكر في النصوص المتقدمة تجد العلاج لما حاك في صدرك ،
 قال النبي ﷺ «الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها» واعتبر بما
 مضى من زمن الصحابة رضوان الله عليهم من فشل الخارجين
 على ولاة الأمور وما تسبب من ذلك من ازهاق النفوس وإراقة
 الدماء وهتك الأعراض ونهب الأموال إلى غيره من المفساد
 الدينية والدنيوية إلى يومنا هذا (وليس من شرط الطاعة
 العصمة) كما سبق ، وليس كل ما يتمناه المرء يدركه .
 وأما الحق الذي عليهم فعظيم جداً ومسئولية خطيرة قد

اشفقت منها السموات والأرض والجبال لثقلها وصعوبة القيام بها وعظم شأنها . وهو العدالة في حكمهم التي قامت بها السموات والأرض وقد تقدمت الأدلة على وجوب القيام بها بصفة عامة من الكتاب والسنة في أول البحث ليكون البحث بياناً لها .

وهنا نذكر الأدلة على وجوب العدالة على ولاية الأمور وأدلة فضل من وفقه الله على القيام بها وعقوبة من لم يقم بها من السنة المطهرة التي هي بيان ما أجمل في الكتاب .

ومن ذلك ما رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ، إمام عادل ..» الحديث ، وما رواه مسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «إن المقسطين على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين ، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا» وما رواه مسلم عن عوف بن مالك رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم وتصلون عليهم ويصلون عليكم ، وشرار أئمتكم الذين

تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم» قال : قلنا :
يا رسول الله أفلا ننابذهم قال : لا ما أقاموا فيكم الصلاة ،
لا ما أقاموا فيكم الصلاة . وما رواه مسلم عن عياض بن حمار
رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «أهل
الجنة ثلاثة : ذو سلطان مقسط موفق ورجل رحيم رقيق القلب
لكل ذي قربى مسلم ، وعفيف متعفف ذو عيال» .

الرابع : العدالة في حق الرعية ، وهو من الحقوق
اللازمة المؤكدة وقد تقدم ذكر عقوبة من أهملها أو قصر في
أدائها قال الله تعالى ﴿واخفض جناحك لمن اتبعك من
المؤمنين﴾ أي لين لهم جانبك ، ولا تكن شديداً عليهم ، ولبّ
طلباتهم ، واسمع كلامهم وشاورهم في غير معصية الله .
ومن ذلك ما رواه الشيخان وغيرهم عن ابن عمر رضي الله
عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول «كلكم راع وكلكم
مسئول عن رعيته ، الإمام راع ومسئول عن رعيته ، والرجل
راع في أهله ومسئول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها
ومسئولة عن رعيته ، والخادم راع في مال سيده ومسئول عن
رعيته ، وكلكم راع ومسئول عن رعيته» . وما رواه الشيخان

وغيرهما عن أبي يعلى معقل بن يسار رضي الله عنه قال :
سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما من عبد يسترعيه الله
رعيته يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة » وفي
رواية لمسلم « ما من أمير يلي أمور المسلمين ثم لا يجهد لهم
وينصح لهم إلا لم يدخل معهم الجنة » . وفي رواية : فلم
يحطهم بنصحه لم يجد رائحة الجنة » .

قلت : هذا هو الحرمان والإفلاس التام أعاذنا الله منه .
وما رواه مسلم عن عائشة رضي الله عنها وعن جميع أمهاتنا
أمهات المؤمنين ، قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول في بيتي
هذا « اللهم من ولي من أمر أمتي شيئاً فشق عليهم فشق عليه
ومن ولي من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فارفق به » وما رواه
الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله
ﷺ « كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي
خلفه نبي ، وإنه لا نبي بعدي وسيكون بعدي خلفاء
فيكثرون » قالوا : يا رسول الله فما تأمرنا ؟ قال : أوفوا ببيعة
الأول فالأول ثم اعطوهم حقهم واسئلوا الله الذي لكم ، فإن
الله سائلهم عن ما استرعاهم » وما رواه الشيخان عن ابن

عمرو رضي الله عنهما أنه دخل على عبيد الله بن زياد
 فقال : له أي بني إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إن شر
 الرعاء الحطمة فأياك أن تكون منهم» وما رواه أبو داود
 والترمذي عن أبي مريم أنه قال لمعاوية رضي الله عنه : سمعت
 رسول الله ﷺ يقول «من ولاه الله شيئاً من أمور المسلمين
 فاحتجب دون حاجتهم وخلتهم وفقرهم احتجب الله دون
 حاجته وخلته وفقره يوم القيامة» فجعل معاوية رجلاً على
 حوائج الناس ، وهذا هو حقيقة العدل أن يعامل الخالق عباده
 بما عملوه به وبما عاملوا به عباده ، قال الله تعالى ﴿ هل جزاء
 الإحسن إلا الإحسن ﴾ وقال تعالى ﴿ وجزاء سيئة سيئة
 مثلها ﴾ وقال تعالى ﴿ هل تجزون إلا بما كنتم تعملون ﴾ وقال
 تعالى ﴿ من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك
 بظلام للعبيد ﴾ وكما تدين تدان ، وكما تعمل تجازي ، لأن
 الجزاء من جنس العمل ، وكما تزرع تحصد ، كما قال تعالى
 ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة
 شراً يره ﴾ .

الخامس : العدالة في حق الوالدين ومن يدلون بهما

على أبنائهم وإن علوا وهو من الحقوق التي تلى حق الله في
الوجوب لأن الله رتبها بعد حقه ولأن الوالدين هما السبب
الذي جعله الله لوجود الأبناء مع ما أجبلهما الله عليه من
المحبة والرحمة والعطف على أبنائهم وخاصة الأمهات لما
تحملن من المشاق على البنين من الحمل والوضع والقيام
بتربيتهم والسهر عليهم لدفع الضرر عليهم وجلب الخير لهم
وإيثارهم على أنفسهن في المطعم والمشرب والملبس بل في
وسائل الصحة وفي كل شيء تقدم الأم ابنها على نفسها ،
قال الله تعالى ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين
إحساناً﴾ النساء ٣٦ ، وقال تعالى ﴿وقضى ربك أن لا
تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً إما يبلغن عندك الكبر
أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما
قولا كريماً واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب
ارحمهما كما ربياني صغيراً﴾ الإسراء آية ٢٤ . وقال تعالى
﴿والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل﴾ الرعد آية ٢١ ،
وقال تعالى ﴿ووصينا الإنسان بوالديه إحساناً حملته أمه
وهناً على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إليّ

المصير ﴿ لقمان آية ١٤ ﴾ وقال تعالى ﴿ واتقوا الله الذي
تساءلون به والإرحام إن الله كان عليكم رقيباً ﴾ النساء آية ١
ومنه ما رواه الشيخان عن ابن مسعود رضي الله عنه قال :
سألت رسول الله ﷺ « أي العمل أحب إلى الله ؟ قال :
الصلاة على وقتها ، قلت : ثم أي ؟ قال : بر الوالدين : قلت :
ثم أي ؟ قال : الجهاد في سبيل الله » وما رواه مسلم عن أبي
هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا
يجزي ولد والده إلا أن يجده مملوكاً فيشتريه فيعتقه » وما رواه
الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى
رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ! من أحق الناس بحسن
صحابتي ؟ قال : أمك » قال : ثم من ؟ قال : أمك ، ثم أمك
ثم أبوك » وفي رواية من أحق الناس بحسن الصحبة ؟ قال
أمك ، ثم أمك ، ثم أمك ثم أباك ، ثم أدناك أدناك . وما رواه
مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ
« رغم أنف ثم رغم أنف ثم رغم أنف من أدرك أبويه أحدهما أو
كليهما فلم يدخل الجنة » وما رواه البخاري واللفظ لمسلم عن
عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال : أقبل رجل إلى النبي

ﷺ فقال : أبايحك على الهجرة والجهاد ابتغي الأجر من الله تعالى « قال : فهل لك من أبويك أحد حي ؟ قال : نعم بل كلاهما ، قال فتبتغي الأجر من الله تعالى ؟ قال : نعم قال : فارجع إلى والديك فاحسن صحبتهما » وفي رواية جاء رجل فاستأذنه في الجهاد فقال : أحي والداك ؟ قال : نعم قال : ففيهما فجاهد » وما رواه الشيخان عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت : قدمت على أمي وهي مشركة في عهد رسول الله ﷺ ، فاستفتيت رسول الله ﷺ قلت : قدمت عليّ أمي وهي راغبة أفأصل أمي ؟ قال : نعم صلي أمك . قلت : إذا كان هذا في حق الوالد المشرك فما ظنك بالوالد المسلم الذي جمع بين حق الأبوة وحق الإسلام وحق الجوار لأن كل ابن مسلم جار لأبويه ولو كان بعيد المنزل منهما ، قال تعالى : ﴿ وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾ لقمان آية ١٥ . وما رواه أبو داود والترمذي وقال فيه حديث حسن صحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : كانت تحتي امرأة وكنت أحبها ، وكان عمر يكرها ، فقال لي :

طلقها فأبیت فأتى عمر رسول الله ﷺ فذكر ذلك له فقال
النبي ﷺ «طلقها» وما رواه الترمذي فقال : حسن صحيح
عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ
يقول : «الوالد أوسط أبواب الجنة» وقال رسول الله ﷺ
«الجنة تحت أقدام الأمهات» حديث حسن ذكره الخطابي
والقضاعي في الجامع .

السادس : العدالة في حق البنين على الآباء ومن
يقوم مقامهم وهو القيام بتربيتهم من جميع الجهات والمعاني
سواء في ذلك التربية الغذائية البدنية والرعاية والأدبية
والتعليمية والصحية ، والآباء هم أولياء البنين ، ومن حق
البنين على الآباء اختيار الأمهات الحرائر ذوات الدين واختيار
الأسماء الطيبة تفائلا لهم ، والبيئة الصالحة لنشئتهم ، كما
يختار المزارع الأرض الطيبة لزرعه والبحث عن كل ما يساعد
على توجيههم من اختيار الجيران والمدارس والمدرسين
والأصدقاء ، قال الله تعالى ﴿وعلى المولود له رزقهن
وكستوتهن بالمعروف لا تكلف نفس إلا وسعها لا تضار والدة
بولدها ولا مولود له بولده وعلى الوارث مثل ذلك﴾ البقرة

آية ٢٣١ ، وقال تعالى ﴿ لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر
 عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاهها ﴾
 الطلاق آية ٧ ، وقال تعالى : ﴿ وما أنفقتم من
 شيء فهو يخلفه ﴾ سبأ الآية : ٣٩ .

وما رواه مسلم عن ثوبان رضي الله عنه قال : قال النبي
 ﷺ « أفضل دينار ينفقه الرجل دينار ينفقه على عياله ، ودينار
 ينفقه على دابته في سبيل الله ، ودينار ينفقه على أصحابه
 في سبيل الله » وما رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه
 قال : قال رسول الله ﷺ « دينار أنفقت في سبيل الله ودينار
 أنفقت على رقبة ، ودينار تصدقت به على مسكين ، ودينار
 أنفقت على أهلك أعظمها أجراً الذي أنفقت على أهلك »
 قلت : لأنه هو الواجب والواجب أعظم أجراً من التطوع .

وما رواه الشيخان عن أم سلمة رضي الله عنها وعن
 جميع أمهات المؤمنين قالت : قلت : يارسول الله ﷺ هل لي
 أجر من بني سلمة أن أنفق عليهم ولست بتاركتهم هكذا
 وهكذا إنما هم بني فقال : « نعم لك أجر ما أنفقت عليهم »
 وما رواه أبو داود وغيره بسند صحيح عن عبدالله بن عمرو

رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ كفى بالمرء إثماً أن
 يضيع من يقوت» وفي رواية «أن يحبس عن من يملك قوته» وما
 رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : رسول الله
 ﷺ «اليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول ، وخير
 الصدقة ما كان عن ظهر غني ومن يستعفف يعفه الله ، ومن
 يستغن يغنه الله» والأدلة في هذا كثيرة ، وذلك من نعم الله
 التي لا تحصى ولا تعد على خلقه من حيث أنه خلق الرحمة
 من الأقوياء للضعفاء في الدنيا حتى جعل الطير يملأ حوصله
 ماءً وطعاماً ليطعم أفراده وأما التربية الروحية والأدبية
 والعلمية فهي الرعاية التامة والتوجيه والحفاظة من جميع
 الوجوه بأن لا يترك شيئاً يتعلق بصالحهم الا عودهم على
 فعله ورغبهم فيه من أمور دينهم وأخلاقهم وآدابهم
 ومعاملاتهم مع ربهم ومع خلقه ولا يحتقر شيئاً من ذلك ،
 كما أنه لا يترك شيئاً من الشر إلا حذرهم منه وعودهم على
 بغضه وبغض أهله والبعد عنه قل أو كثر لأن الشر لا فرق بين
 قليله وكثيره ، والتعود على قليله يجر إلى الوقوع في كثيره
 ألا ترى أن الشررة التي تخرج من بين الزند والحجر تتأجج

منها النيران العظيمة المحرقة : قال الله تعالى ﴿ ومن أحسن قولاً لمن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين ﴾ وقال تعالى ﴿ وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها ﴾ الآية وقال تعالى ﴿ يا أيها الذين ءامنوا قوا أنفسكم وأهلكم ناراً وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ﴾ التحريم آية ٦ .

وقال رسول الله ﷺ في الحديث المتفق عليه « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » الحديث قد تقدم عن ابن عمر رضي الله عنهما وما رواه أبو داود بسند حسن عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر وفرقوا بينهم في المضاجع » وما رواه أبو داود والترمذي بسند حسن عن سبرة بن معبد الجهني رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « علموا الصبي الصلاة لسبع سنين واضربوه عليها وهو ابن عشر سنين » . وما رواه الشيخان عن عمر بن أبي سلمة رضي الله عنه

قال : كنت غلاماً في حجر النبي ﷺ وكانت يدي تطيش في الصحيفة ، فقال رسول الله ﷺ « يا غلام سم الله تعالى وكل بيمينك وكل مما يليك » فما زالت تلك طعمتي بعد

وما رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : أخذ الحسن بن علي رضي الله عنه قمره من تمر الصدقة فجعلها في فيه ، فقال رسول الله ﷺ « كخ كخ ارم بها ، أما علمت أنا لا نأكل الصدقة » وفي رواية : « لا تحل لنا الصدقة » .

السابع : العدالة في حق الأزواج على الزوجات ،
قال الحق تبارك وتعالى ﴿ الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله ﴾ سورة النساء ٣٤ ، وقال تعالى : ﴿ وللرجال عليهن درجة ﴾ البقرة ٢٢٨ ، وقال تعالى : ﴿ نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أني شئتم ﴾ البقرة ٢٢٣ ، وما رواه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « لو كنت امرأةً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها » وقال حديث حسن صحيح ، وما رواه الترمذي أيضاً عن أم سلمة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ « أيما امرأة ماتت

وزوجها عنها راض دخلت الجنة» وقال حديث حسن ، وما رواه
 الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ
 «إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فلم تأتته فبات غضبان عليها
 لعنتها الملائكة حتى تصبح» وفي رواية «والذي نفسي بيده ما
 من رجل يدعو امرأته إلى فراشه فتأبى عليه إلا كان الذي في
 السماء ساخطاً عليها حتى يرضى عنها» وما رواه النسائي
 والترمذي عن طلق ابن علي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال :
 «إذا دعا الرجل زوجته فلتأته وإن كانت على التنور» وقال :
 حديث حسن .

وما رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن
 رسول الله ﷺ قال : «لا يحل لامرأة أن تصوم وزوجها شاهد
 إلا بإذنه ولا تأذن في بيته إلا بإذنه» ، وما رواه الترمذي
 وحسنه عن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال :
 «لا تؤذى امرأة زوجها إلا قالت زوجته من الحور العين ، لا
 تؤذيه قاتلك الله فإنما هو عندك يوشك أن يفارقك إلينا» وقال
 رسول الله ﷺ في حديث بن عمر المتفق عليه : «المرأة
 راعية في بيت زوجها وولدها وهي مسئولة عن رعيتها» .

الثامن : العدالة في حق الزوجة أو الزوجات فهو من الحقوق الواجبة شرعاً وعقلاً لقول الله تعالى ﴿ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف ، وللرجال عليهن درجة﴾ البقرة ٢٢٨ وقوله تعالى ﴿وعاشروهن بالمعروف﴾ البقرة ١٩ . وقوله تعالى ﴿ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة﴾ النساء ١٤٩ .

ولما رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «استوصوا بالنساء خيراً فإن المرأة خلقت من ضلع أعوج فإن أعوج ما في الضلع أعلاه فإن ذهبت تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء» وفي رواية لمسلم «وإن المرأة خلقت من ضلع ، لن تستقيم لك على طريقة فإن استمتعت بها استمتعت بها وفيها عوج ، وإن ذهبت تقيمها كسرتها وكسرها طلاقها» وما رواه الشيخان عن ابن زمعة رضي الله عنه وفيه أن النبي ﷺ «ذكر النساء فوعظ فيهن فقال : يعمد أحدكم فيجلد امرأته جلد العبد فلعله يضاجعها في آخر يومه» الحديث .

وما رواه الترمذي عن عمرو بن الأحوص رضي الله عنه

أنه سمع النبي ﷺ في حجة الوداع يقول بعد أن حمد الله تعالى وأثنى عليه وذكر ووعظ ، ثم قال : ألا واستوصوا بالنساء خيراً فإنما هن عندكم ، ليس تملكون منهن شيئاً بعد ذلك إلا أن يأتين بفاحشة مبينة ، فإن فعلن فاهجروهن في المضاجع واضربوهن ضرباً غير مبرح ، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً ، ألا وإن لكم على نسائكم حقاً ، فحقوقكم عليهن أن لا يوطئن فروشكم من تكرهون ، ولا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون ، ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن» وقال الترمذي : حديث حسن صحيح ، وما رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقاً رضي منها آخر » وما رواه أحمد وأبو داود بسند حسن عن معاوية بن حيدة رضي الله عنه قال : قلت يا رسول الله ما حق زوجة أحدنا عليه ؟ قال : أن تطعمها إذا طعمت وتكسوها إذا اكتسيت ولا تقبح ولا تهجر إلا في البيت » وما رواه الترمذي وأحمد وصححه وابن حبان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً ،

وخيارهم لنسائهم» وما رواه مسلم عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : «الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة» وقد قال الله تعالى ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَنْ لَا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ وقال رسول الله ﷺ : «من كانت له امرأتان أو زوجتان فمال إلى إحداهما فلم يعدل بينهما بعث يوم القيامة وأحد شقيه مائل» أو كما قال عليه الصلاة والسلام .

التاسع : العدالة في حق الأقارب وذوي الأرحام ، فهي من الحقوق الواجبة بالكتاب والسنة والإجماع ، لقول الله تعالى : ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجَنْبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ النساء : ٣٦ ، وقوله تعالى : ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ الأنفال ٧٥ ، وقوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ الرعد : ٢١ .

وقوله تعالى ﴿وَعَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذُرْ تَبْذِيراً﴾ الإسراء ٢٦ .

وما رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، فليقل خيراً أو ليصمت » . وما رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : إن الله تعالى خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم ، قامت الرحم ، فقالت هذا مقام العائد بك من القطيعة ، قال : نعم ، أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك ؟ قالت : بلى ، قال : فذلك لك » ثم قال رسول الله ﷺ اقرءوا إن شئتم : ﴿ فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم ﴾ محمد : ٢٣ . وما رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال : يا رسول الله إن لي قرابة أصلهم ويقطعونني وأحسن إليهم ويسيئون إلي وأحلم عنهم ويجهلون علي ، فقال : لئن كنت كما قلت : فكأنما تسفهم المل ، ولا يزال معك ظهيرٌ عليهم ما دامت على ذلك » . والمل الرماد الحار ، وما رواه الشيخان عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من أراد أن

يسيطر له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه» وروى
الشيخان عن أنس رضي الله عنه قال : «كان أبو طلحة أكثر
الأنصار بالمدينة مالا من نخل وكان أحب أمواله إليه بيرحاء ،
وكانت مستقبله المسجد وكان رسول الله ﷺ يدخلها
ويشرب من ماء فيها طيب ، فلما نزلت هذه الآية ﴿لن تنالوا
البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾ آل عمران ٩٣ ، قام أبو طلحة إلى
رسول الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله ! إن الله تبارك وتعالى
يقول ﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾ وإن أحب مالي
إليّ بيرحاء ، وإنها صدقة لله تعالى أرجو برها عند الله ،
فضعها يارسول الله حيث أراك الله ، فقال رسول الله ﷺ :
«بخ بخ ذلك مال رابح ذلك مال رابح ، وقد سمعت ما قلت ،
إني أريد أن تجعلها في الأقربين ، فقال أبو طلحة : أفعل
يا رسول الله ، فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه» وما
رواه الشيخان عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول
الله ﷺ : «الرحم معلقة بالعرش تقول : من وصلني وصله
الله ، ومن قطعني قطعه الله» وما رواه الشيخان عن ميمونة
رضي الله عنها أنها اعتقت وليدة لها ولم تستأذن النبي ﷺ ،

فلما كان يومها الذي يدور عليها فيه ، قالت : أشعرت يا رسول الله إني اعتقت وليدتي ، قال : أو فعلت ؟ قالت : نعم . قال : أما إنك لو أعطيتها أخوالك لكان أعظم لأجرك . وما رواه الشيخان عن أبي سفيان بن حرب رضي الله عنه في قصته مع هرقل ملك الروم ، وفيها أن هرقل ، قال له : فما يأمركم به يعني النبي ﷺ قال : قلت : يقول : اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، واتركوا ما يقول آبائكم ، ويأمرنا بالصلاة والصدقة والعفاف والصلة وما رواه مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : «إنكم ستفتحون مصر وهي أرض يسمى فيه القراط فاستوصوا بأهلها خيراً فإن لهم ذمة ورحماً» يعني لكون هاجر أم إسماعيل منهم وكون مارية أم إبراهيم منهم ، وما رواه مسلم عن أبي هريرة في قصة جمع رسول الله ﷺ قريشاً الذي أمرهم فيه بالتحديد فعمم وخص وقال في آخره : يا فاطمة بنت محمد انقذي نفسك من النار فإني لا أملك لك من الله شيئاً ، ومما قال فيه غير أن لكم رحماً سأبلها ببلالها» وما رواه الشيخان عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ جهاراً غير سر يقول

«إن آل فلان ليسوا بأوليائي ، إنما ولي الله وصالح المؤمنين ولكن لهم رحم أبلها ببلالها» وما رواه الشيخان عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن رجلاً قال : يارسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار ، فقال النبي ﷺ «تعبد الله ولا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصل الرحم» وما رواه الترمذي بسند حسن عن سلمان بن عامر رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : «إذا أفطر أحدكم فليفطر على تمر فإنه بركة فإن لم يجد تمرًا فالماء فإنه طهور ، وقال : الصدقة على المساكين صدقة وعلى ذي رحم صدقة وصلة» وما رواه الترمذي وقال حسن صحيح عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «الخالة بمنزلة الأم» وفي الحديث الذي رواه مسلم عن عمرو بن عبسة رضي الله عنه ، وفيه أنه قال : دخلت على النبي ﷺ بمكة ، فقلت له : ما أنت ؟ قال : نبي فقلت : وما نبي ؟ قال : أرسلني الله تعالى ، فقلت : بأي شيء أرسلت ؟ قال : أرسلني بصلة الأرحام وكسر الأوثان وأن يوحد الله ولا يشرك به شيء» الحديث ، وما رواه البخاري عن عبد الله بن عمرو بن العاص

رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ : « ليس الواصل بالمكافئ ، لكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها » .

العاشر : العدالة في حق الجيران فهي واجبة

بالكتاب والسنة وإجماع الأمة للنصوص الآتية ، ومنها قوله

تعالى : ﴿ والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب

وابن السبيل ﴾ النساء : ٣٦ ، وما رواه الشيخان عن عائشة

رضي الله عنها وابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله

ﷺ « لا يزال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه »

وما رواه مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال لي رسول

الله ﷺ : « يا أباذر إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها وتعاهد

جيرانك » وفي رواية قال : إن خليلي أوصاني إذا طبخت مرقة

فأكثر ماءها ثم أنظر أهل بيت من جيرانك فأصبهم منها

بمعروف) . . وما رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه

أن النبي ﷺ قال : « والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، والله لا

يؤمن ، قيل : من يارسول الله ؟ قال : الذي لا يأمن جاره

بوائقه » أي شروره ، وفي رواية « لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره

بوائقه » . وما رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن

رسول الله ﷺ قال : « لا يمنع جار جاره أن يغرز خشبته في جداره » وما رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يا نساء المسلمين لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسين شاة » . وما رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليسكت » وما رواه الشيخان عن أبي شريح الخزاعي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره » الحديث مثل الذي قبله . وقد قال رسول الله ﷺ « الجار أحق بسقبه من غيره » قاله في الشفعة في الدور وما رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : قلت : يا رسول الله إن لي جارين فإلى أيهما أهدى ، قال : إلى أقربهم منك باباً » وما رواه الترمذي وأحمد والدارمي بسند صحيح عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ « خير الأصحاب عند الله تعالى خيرهم لصاحبه ، وخير الجيران عند الله تعالى خيرهم لجاره » ،

قلت : هذا حق الجار المسلم ، وأما غير المسلم فإن لم يكن له حق القرابة فليس له إلا حق الجوار فقط لقول الله تعالى : ﴿ والجار الجنب ﴾ ولقوله تعالى ﴿ وإن أحد من المشركين استجرك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ﴾ سورة التوبة . وبعموم قوله ﷺ « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره » الحديث تقدم . وقوله في الحديث الآخر « فليحسن إلى جاره » الحديث تقدم ، وقوله : والله لا يؤمن قيل : من يارسول الله قال : « من لا يأمن جاره بوائقه » إلى غير ذلك من الأدلة التي تؤكد حق الجار مثل معاملته ﷺ للغلام اليهودي الذي كان يعمل عنده ، ولحسن معاملته له أنه أسلم في آخر لحظة من سكراته وقبل إسلامه لأنه يأمره ﷺ بالشهادتين فأطاعه .

الحادي عشر : العدالة في الرفيق والخدم وهي

واجبة بالكتاب والسنة المطهرة ، أما الكتاب فلقوله تعالى ﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ﴾ الآية إلى قوله ﴿ وما ملكت أيمانكم ﴾ النساء : ٣٦ ، وقوله تعالى ﴿ وأنكحوا الأياامي منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء

يغنيهم الله من فضله ﴿ إلى قوله تعالى ﴾ والذين يستغفون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاذبوهم إن علمتم فيهم خيراً وءاتوهم من مال الله الذي ءاتاكم ولا تكررُوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصناً لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ﴿
النور : ٣٢-٣٣ .

ولما رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « من قذف مملوكه بالزنا يقام عليه الحد يوم القيامة إلا أن يكون كما قال » وما رواه مسلم عن سويد ابن مقرن رضي الله عنه قال : « لقد رأيتني سابع سبعة من بني مقرن ما لنا خادم إلا واحدة لطمها أصغرنا ، فأمرنا رسول الله ﷺ أن نعتقها » . وما رواه مسلم عن أبي مسعود البدر رضي الله عنه قال : كنت أضرب غلاماً لي بالسوط فسمعت صوتاً من خلفي : اعلم أبا مسعود ، فلم أفهم الصوت من الغضب ، فلما دنى مني إذا هو رسول الله ﷺ فإذا هو يقول : اعلم أبا مسعود أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام ، فقلت : لا أضرب مملوكاً بعده أبداً ، وفي رواية : « فسقط السوط من يدي من هيبتة » ، وفي رواية

«فقلت : يا رسول الله هو حر لوجه الله تعالى ، فقال : «أما لو لم تفعل للفتحك النار أو لمستك النار» ،

وما رواه مسلم عن هشام بن حكيم بن حزام رضي الله عنهما أنه مر بالشام على أناس من الأنباط وقد أقيموا في الشمس وصب على رؤوسهم الزيت فقال : ما هذا ؟ قيل : يعذبون في الخراج ، وفي رواية : «حبسوا في الجزية ، فقال هشام : أشهد إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن الله يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا فدخل على الأمير فحدثه فأمرهم فخلوا» ...

وما رواه الشيخان وأبوداود والترمذي بألفاظ متقاربة عن المعرور بن سويد رضي الله عنه قال : رأيت أبا ذر بالربذة وعليه برد غليظ وعلى غلامه مثله ، فقال القوم : يا أباذر لو كنت أخذت الذي علي غلامك فجعلته مع هذا فكانت حلة ، فكسوت غلامك ثوباً غيره ، قال : فقال أبوذر : إني كنت ساببت رجلاً كانت أمه أعجمية فغيرته بأمه فشكاني إلى رسول الله ﷺ فقال «يا أباذر إنك إمروء فيك جاهلية» فقال : إنهم إخوانكم فضلكم الله عليهم ، فمن لم يلائمكم فبيعهوه

ولا تعذبوا خلق الله» واللفظ لأبي داود ، ولفظ الشيخين والترمذي : «هم إخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن جعل الله أخاه تحت يده فليطعمه مما يطعم وليلبسه مما يلبس ولا يكلفه من العمل ما يغلبه فإن كلفه ما يغلبه فليعنه» ، واللفظ للبخاري . وقال الحافظ : الرجل الذي غيره أبو ذر هو بلال بن رباح ، وما رواه ابن ماجه عن علي رضي الله عنه قال : آخر كلام النبي ﷺ «الصلاة الصلاة اتقوا الله فيما ملكت إيمانكم» وما رواه مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه جاءه قهرمان له فقال له : اعطيت الرقيق قوتهم ؟ قال : لا ، قال : فانطلق فاعطهم ، قال رسول الله ﷺ : «كفى بك إثماً أن تحبس عن من تملك قوتهم» وما رواه أبو داود والترمذي وقال حسن صحيح ، قال جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال يارسول الله ! كم أعفو عن الخادم ؟ قال : «كل يوم سبعين مرة» قلت : وهذا صريح في الخادم لأنه بمعنى المملوك سواء كان عمله بالأجرة أو بدون أجرة لعموم النصوص المتقدمة وسيأتي قوله ﷺ «من لا يرحم لا يرحم» في باب الفرق بالحيوان .

الثاني عشر : عدالة العبد في حق سيده من

طاعته وخدمته والمحافظة على ماله فهي حق واجب بالسنة المطهرة التي هي بيان للقرءان ، لما رواه مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ «أيما عبد أبق فقد برأت منه الذمة» وعنه أن النبي ﷺ قال «إذا أبق العبد لم تقبل له صلاة» وفي رواية : «فقد كفر» وتقدم حديث ابن عمر وفيه «العبد مسئول عن مال سيده وكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته» .

الثالث عشر : العدالة في حق الإسلام

والمسلمين ، فهي واجبة بالكتاب والسنة وإجماع الأمة ، قال الله تعالى : ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيراً ونساءً واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً﴾ الأنفال : ١ ، وقال تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد ولا ءامين البيت الحرام يبتغون فضلاً من ربهم ورضواناً﴾ المائدة : ٢ ، وقال تعالى : ﴿ذلك ومن يعظم شعائر الله

فإنها من تقوى القلوب ﴿ الحج : ٣٢ ، وقال تعالى :
﴿ يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا
خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً
منهن ﴾ الحجرات : ١١ ، وقال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا
كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم علي
أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى ﴾ المائدة : ٨ ، وقال
تعالى : ﴿ من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل
نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً
ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً ﴾ المائدة : ٣٢ . وقوله
تعالى : ﴿ والمؤمنون بعضهم أولياء بعض ﴾ التوبة : ٧١ .

وأما السنة فلما رواه الشيخان عن أبي موسى الأشعري
رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « المؤمن للمؤمن
كالبنيان يشد بعضه بعضاً ، وشبك بين أصابعه » وما رواه
الشيخان عن أبي موسى أيضاً قال : قال رسول الله ﷺ « إن
الله ليملي للظالم فإذا أخذه لم يفلته ، ثم قرأ ﴾ وكذلك أخذ
ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد ﴾ وما رواه
الشيخان عن معاذ بن جبل رضي الله عنه في قصة بعث

رسول الله ﷺ له إلى اليمن أنه قال له في وصيته له «واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينه وبين الله حجاب» وما رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرض أو من مال فليحلل منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم ، وإن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته ، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحملت عليه» وقد قال رسول الله ﷺ لأصحابه : «أتدرون من المفلس من أمتي ؟ من يأتي يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام وحج ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا ، فيعطى هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم يطرح في النار» رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه .

وما رواه الشيخان عن أبي بكرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : «إن الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق الله السموات والأرض ، السنة اثنا عشر شهراً منها أربعة حرم ، ثلاث متواليات ، ذو القعدة ، وذو الحجة والمحرم ، ورجب الذي

بين جمادى وشعبان ، أي شهر هذا ؟ قلنا : الله ورسوله
 أعلم ، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه ، قال :
 أليس بذي الحجة ؟ قلنا : بلى قال : أي يوم هذا ؟ قلنا : الله
 ورسوله أعلم ، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه ،
 قال : أليس يوم النحر ؟ قالوا : بلى ، قال : «فإن دماءكم
 وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في
 بلدكم هذا في شهركم هذا وستلقون ربكم ويسألکم عن
 أعمالکم ، فلا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب
 بعض ، ألا فليسمع الشاهد الغائب فلعن بعض من يبلغه أن
 يكون أوعى من بعض من سمعه ، ثم قال : ألا هل بلغت ؟ ألا
 هل بلغت ؟ قلنا : نعم ، قال : اللهم اشهد» وما رواه
 الشيخان عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ
 أنه قال : المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمهاجر
 من هجر ما نهى الله عنه» وما رواه مسلم عن أبي أمامة رضي
 الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «من اقتطع حق امرئ مسلم
 بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة ، فقال رجل :
 ولو كان يسيراً يا رسول الله ؟ فقال : وإن كان قضيباً من

أراك» وما رواه مسلم عن عمر رضي الله عنه قال : لما كان يوم
خير أقبل نفر من أصحاب النبي ﷺ ، فقالوا : فلان شهيد
وفلان شهيد حتى مروا على رجل ، فقالوا فلان شهيد ، فقال
النبي ﷺ : « كلا إني رأيته في النار في بردة غلّها : أو عباءة »
وما رواه الشيخان عن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله
ﷺ قال : « إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إلي ، ولعل بعضكم
ألحن بحجته من بعض فأقضي له بنحو ما أسمع ، فمن قضيت
له بحق أخيه فإنما أقطع له قطعة من النار » وما رواه البخاري
عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « لن
يزال المؤمن في فسحة من دينه حتى يصيب دماً حراماً » وما
رواه مسلم والنسائي والترمذي مرفوعاً وموقوفاً عن عبد الله
ابن عمرو رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : « لزوال الدنيا
أهون عند الله من قتل رجل مسلم » وروى ابن ماجه عن عبد الله
ابن عمرو رضي الله عنهما قال : رأيت رسول الله ﷺ يطوف
الكعبة ، ويقول : « ما أطيبك وما أطيب ريحك وما أعظمك
وما أعظم حرمتك والذي نفس محمد بيده حرمة المؤمن أعظم
من حرمتك ، ماله ودمه » وما رواه الترمذي وحسنه عن

أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال :
« لو أن أهل السماء وأهل الأرض اشتركوا في دم مؤمن لأكبههم
الله في النار » إلى غير ذلك من النصوص الواردة في وجوب
العدالة في حقوق المسلمين وحرمتهم .

وأما العدالة في غيرهم وحرمة التعدي عليهم في دار
الأمن ، فلما رواه البخاري عن عبدالله بن عمرو رضي الله
عنهما قال قال رسول الله ﷺ : « من قتل معاهداً لم يرح
رائحة الجنة ، وإن ريحها يوجد مسيرة أربعين عاماً » ورواه
النسائي إلا أنه قال : « من قتل من أهل الذمة » . قلت : هذا
من فضائل الإسلام التي لا توجد عند غيره . وهي أنه أيام كان
الإسلام باسمه الحقيقي وبمعناه الشرعي عند أهله يحيط كل
من دخل في حماه بحفظه ورعايته وحمايته ويدافع عن حقوقه
من دمه وماله وأهله وعرضه كما يدافع عن أهل الإسلام
وحرماتهم حتى البهائم في الأماكن المحرمة مثل الحرمين
الشريفين يحرم الصيد فيهما بل حتى نباتها يحرم قطعه
ولذلك عمم بعض الأئمة العقود بين المسلمين والذميين فقال :
يقتل المسلم بالذمي وديتهما واحدة لأن الإسلام دين دعوة

لإخراج الناس من الظلمات إلى النور ومن العمي إلى البصيرة
ولذلك أمر الله في كتابه بإعطاء الجار الكافر حقه من الجوار ،
فقال عز من قائل : ﴿ وإن أحد من المشركين استجارك فأجره ﴾
ثم ذكر العلة لهذا الأمر فقال ﴿ حتى يسمع
كلام الله ثم أبلغه مأمنه ﴾ .

وأما التعاون والتراحم والتناصر بين المسلمين فهو من
واجبات الإسلام التي لا يستقيم بدونها ، قال الله تعالى :
﴿ إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم
ترحمون ﴾ وما رواه الشيخان عن النعمان بن بشير رضي الله
عنه قال : قال رسول الله ﷺ « مثل المؤمنين في توادهم
وتراحمهم وتعاطفهم ، مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه
عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » . وما رواه
الشيخان عن أبي موسى رضي الله عنه قال : قال رسول الله
ﷺ « من مر بشيئ من مساجدنا أو أسواقنا ومعه نبل
فليمسك أو ليقبض على نصالها بكفه ، أن يصيب أحداً من
المسلمين منها بشي » ، وما رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي
الله عنه قال : قبل النبي ﷺ الحسن رضي الله عنه

وعنده الأقرع بن حابس ، فقال الأقرع : إن لي عشرة من
الولد ما قبلت منهم أحداً ، فنظر إليه رسول الله ﷺ فقال : «
من لا يرحم لا يرحم» وما رواه الشيخان عن أمنا أم
المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : قدم ناس من الأعراب
على رسول الله ﷺ فقالوا : أتقبلون صبيانكم ؟ فقال : نعم
، فقالوا : لكننا والله ما نقبل ، فقال رسول الله ﷺ «أو أملك
إن كان الله نزع من قلوبكم الرحمة» . وفي حديث جرير بن
عبدالله المتفق عليه قال قال رسول الله ﷺ «من لا يرحم
الناس لا يرحمه الله» .

وما رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال
رسول الله ﷺ «إذا صلى أحدكم للناس فليخفف فإن فيهم
الضعيف والسقيم والكبير وذا الحاجة ، وإذا صلى أحدكم
لنفسه فليطول ما شاء» وروى الشيخان عن أم المؤمنين عائشة
رضي الله عنها قالت : إن كان رسول الله ﷺ ليدع العمل
وهو يحب أن يعمل به خشية أن يعمل به الناس فيفرض
عليهم» وما رواه الشيخان عن عائشة رضي الله عنها قالت :
«نهاهم النبي ﷺ عن الوصال رحمة لهم ، فقالوا : إنك

تواصل ، قال : إني لست كهيتكم إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني» وروى البخاري عن أبي قتادة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «إني لأقوم إلى الصلاة وأريد أن أطول فيها فأسمع بكاء الصبي فأتجوز في صلاتي كلها مخافة أن أشق على أمه» وما رواه مسلم عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : «من صلى الصبح فهو في ذمة الله ، فلا يطلبكم الله من ذمته بشئ ، فإنه من يطلبه بشئ يدركه ثم يكبه على وجهه في نار جهنم» أعاذنا الله من ذلك .

وما رواه الشيخان عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة»

وما رواه الترمذي بسند صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «المسلم أخو المسلم لا يخونه ولا يكذبه ولا يخذله ، كل المسلم على المسلم حرام عرضه وماله ودمه ، التقوى هاهنا بحسب المرى من الشر أن يحقر أخاه المسلم» .

وما رواه مسلم عنه قال : قال رسول الله ﷺ
لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبيع
بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخوانا ، المسلم أخو
المسلم لا يظلمه ولا يحقره ، التقوى هاهنا ويشير إلى صدره
ثلاث مرات ، بحسب المرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم ،
كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه ... وما رواه
البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله
ﷺ : « انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً ، فقال رجل : يا رسول الله
انصره إذا كان مظلوماً أ رأيت إن كان ظالماً كيف أنصره ؟
قال : تحجزه من الظلم فإن ذلك نصره » وما رواه الشيخان عن
أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يؤمن
أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » وما رواه الشيخان
عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « حق
المسلم على المسلم خمس ، رد السلام وعيادة المريض واتباع
الجنائز وإجابة الدعوة وتشميت العاطس » وفي رواية لمسلم
عنه « حق المسلم على المسلم ست إذا لقيته فسلم عليه ، وإذا
دعأك فأجبته ، وإذا استنصحك فأنصحك له ، وإذا عطس

فحمد الله فشتمته ، وإذا مرض فعده ، وإذا مات فاتبعه» وعن
 البراء ابن عازب رضي الله عنه قال : أمرنا رسول الله ﷺ
 بسبع ونهانا عن سبع ، أمرنا بعيادة المريض واتباع الجنائز
 وتشميت العاطس وإبرار المقسم ونصر المظلوم وإجابة الداعي
 وإفشاء السلام ، ونهانا عن خواتم الذهب أو التختم بالذهب ،
 وعن الشرب بالفضة ، وعن المياثير الحمر ، وعن القسي ،
 وعن لبس الحرير والاستبرق والديباج» والمياثير كوسادة من
 الحرير محشوة من القطن تكون بين الراكب والرحل
 أو السرج .

قلت : هذا ما يتعلق بالحقوق الواجبة من بعضهم
 لبعض ، فما بالك بالتعدي عليهم وظلمهم قال الله تعالى
 ﴿ لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة وأولئك هم المعتدون ﴾ وقال
 تعالى : ﴿ إن الله لا يهدي القوم الظلمين ﴾ الأحقاف : ١٠
 وقال تعالى : ﴿ ما للظلمين من حميم ولا شفيع يطاع ﴾ غافر : ١٨ ،
 وقال تعالى : ﴿ وما للظالمين من نصير ﴾ الحج : ٧١ .

ومنه ما رواه مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه في حديثه
 الطويل الذي رواه النبي ﷺ عن ربه عز وجل وفيه أنه قال :

«يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلتها بينكم محرماً ، فلا تظالموا» الحديث ، وما رواه مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة ، واتقوا الشخ فإن الشخ أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم » . وما رواه الشيخان عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : كنا نتحدث عن حجة الوداع والنبي ﷺ بين أظهرنا ولا ندري ما حجة الوداع حتى حمد الله وأثنى عليه ، ثم ذكر المسيح الدجال فأطنب في ذكره إلى أن قال : « ألا إن الله قد حرم عليكم دماءكم وأموالكم كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا ، ألا هل بلغت ؟ قالوا : نعم قال : اللهم اشهد ثلاث مرات ، ثم قال : ويلكم أو ويحكم انظروا لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض » وما رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : لتؤدّن الحقوق إلى أهلها حتى يقاد للشاة الجماء من الشاة القرناء .

وما رواه الشيخان عن عائشة رضي الله عنها وأرضاها أن رسول الله ﷺ قال : « من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه

من سبع أرضين يوم القيامة» وقال رسول الله ﷺ : « ذمة المسلمين واحدة» وفي رواية «المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم» وقال رسول الله ﷺ «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر» .

الرابع عشر : العدالة في البهائم وغيرها من الحيوانات وهي واجبة بالكتاب والسنة لأن الله هو خالق الأرواح كلها ولم يخلقها عبثاً إنما خلقها لحكمة أرادها وتقدم في أول البحث قوله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَنِ ﴾ وقال تعالى ﴿ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ ﴾ الحج : ٣٠ وروى الطبراني بسند جيد عن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «من لا يرحم من في الأرض لا يرحمه من في السماء» . وما رواه أبو داود والترمذي وقال حسن صحيح عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : «الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء» وما رواه الشيخان ومالك وأبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال :

«دنا رجل إلى بئر فشرب منه وعلى البئر كلب يلهث فرحمه
فنزع أحد خفيه فسقاه فشكر الله له فأدخله الجنة» وما رواه
الحاكم وصححه عن معاوية بن قرة رضي الله عنه أن رجلاً قال
: يا رسول الله ! إني لأرحم الشاة أن أذبحها ، فقال : إن
رحمتها رحمك الله» وفي رواية للأصفهاني أن رجلاً قال : يا
رسول الله إني آخذ شاة وأريد أن أذبحها فأرحمها ؟ قال :
والشاة إن رحمتها رحمك الله» وما رواه الطبراني في الكبير
والأوسط والحاكم واللفظ له وقال : صحيح على شرط
البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً أضجع شاة
وهو يحد شفرتة ، فقال النبي ﷺ «أتريد أن تميتها مرتين ،
هلا أحددت شفرتك قبل أن تضجعها» وما رواه النسائي
والحاكم وقال : صحيح الإسناد عن ابن عمر رضي الله عنهما
عن النبي ﷺ قال : «ما من إنسان يقتل عصفوراً فما فوقها
بغير حقها إلا يسأل عنها يوم القيامة» قيل : يا رسول الله وما
حقها ؟ قال : حقها أن تذبحها فتأكلها ، ولا تقطع رأسها
فترمي به .

وما رواه النسائي وابن حبان في صحيحه عن الشريد
رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «من قتل

عصفوراً عَجَّ إلى الله يوم القيامة» يقول : يا رب إن فلانا قتلني عبثاً ولم يقتلني منفعة» وما رواه الشيخان عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه مر بصبيان من قريش قد نصبوا طيراً أو دجاجة يترامونها وقد جعلوا لصاحب الطير كل خطيئة من نبلهم ، فلما رأوا ابن عمر تفرقوا ، فقال ابن عمر : من فعل هذا ؟ لعن الله من فعل هذا ، إن رسول الله ﷺ «لعن من اتخذ شيئاً فيه الروح غرضاً» وروى عبدالرزاق عن ابن سيرين عن ابن عمر رضي الله عنهما «رأى رجلاً يسحب شاة برجلها ليذبحها فقال : ويلك قدها إلى الموت قوداً جميلاً» وما رواه أبو داود عن أبي مسعود رضي الله عنه قال كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فانطلق لحاجته فرأينا حمرة معها فرخان فأخذنا فرخيهما ، فقال من فجع هذا بولديها ؟ ردوا ولديها إليها» ورأى قرية غل قد حرقناها ، فقال : من حرق هذه ؟ قلنا : نحن قال : إنه لا ينبغي أن يعذب بالنار إلا رب النار . وما رواه البخاري وأحمد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ «دخلت امرأة النار في هرة ربطتها ولم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض» وفي رواية عن جابر

«عذبت امرأة في هرة حبستها حتى ماتت ، لا هي أطعمتها وسقتها إذ هي حبستها ، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض» وما رواه أبو داود والترمذي متصلا ومرسلا وقال المرسل هو أصح عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : نهى رسول الله ﷺ عن التحريش بين البهائم» وما رواه أبو داود وأحمد عن عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما قال : أردفني رسول الله ﷺ خلفه ذات يوم فأسر إلى حديثا لا أحدث به أحداً من الناس ، وكان أحب ما أستتر به رسول الله ﷺ لحاجته هدفاً أو حائش نخل فدخل حائطاً لرجل من الأنصار ، فإذا فيه جمل فلما رأى النبي ﷺ حن وزرقت عيناه ، فأتاه رسول الله ﷺ فمسح زفراه فسكت ، فقال : «من رب هذا الجمل ، لمن هذا الجمل ؟ فجاء فتى من الأنصار فقال : لي يا رسول الله ، فقال « ألا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها ، فإنه شكى إلي أنك تجيعه وتدئبه»

قلت : وهذا الحديث له حكم الرفع لأن هذه القصة مما لا مجال للرأي فيه وأن ابن عباس وعبد الله بن جعفر يستبعد عنهما أن يقولوا عن النبي ﷺ ما لم يقله . وما رواه أبو داود

وابن خزيمة في صحيحه عن سهل بن حنظلة رضي الله عنه قال
مر رسول الله ﷺ ببغير قد لصق ظهره ببطنه فقال « اتقوا الله
في هذه البهائم المعجمة فاركبوها صالحة وكلوها صالحة » وما
رواه مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ « مر
على حمار قد وسم في وجهه فقال : لعن الله الذي وسمه »
وما رواه الترمذي وصححه عن جابر بن عبد الله رضي الله
عنهما قال : مر حمار على رسول الله ﷺ قد كوى وجهه
يفور منخراه من دمه فقال رسول الله ﷺ : « لعن الله من فعل
هذا » ثم نهى عن الكي في الوجه والضرب في الوجه »

الخامس عشر : عدالة الإنسان في حق نفسه
وهي واجبة شرعاً وعقلاً ومأمور بها ، فمن قام بها فهو الذي
يرجى منه أن يعدل في الحقوق المتقدمة ومن ضيعها فهو لما
سواها أضيع ، قال الله تعالى : ﴿ ولا تلقوا بأيديكم إلى
التهلكة ﴾ البقرة : ١٩٥ ، وقال تعالى : ﴿ ولا تقتلوا
أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً ﴾ النساء : ٢٩ ، وقال تعالى
﴿ ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم
القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد
كنت بصيراً قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها

وكذلك اليوم تنسى ﴿ طه : ١٢٤ . وقال تعالى :
﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو
يصيبهم عذاب أليم ﴾ النور ٦٣ ، وقال تعالى : ﴿ ومن أظلم
من ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها إنا من المجرمين منتقمون ﴾
السجدة : ٢٢ وقال تعالى : ﴿ ومن تزكى فإنما يتزكى
لنفسه وإلى الله المصير ﴾ فاطر : ١٨ ، وقال تعالى :
﴿ يا أيها الذين ءامنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس
والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم
ويقعلون ما يؤمرون ﴾ التحريم : ٦ وقال الله تعالى : ﴿ فأما
من طغى وءاثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هي المأوى وأما من
خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى ﴾
النازعات ٢٧-٤١ ، وقال تعالى : ﴿ قد أفلح من زكّاه وقد
خاب من دساها ﴾ الشمس : ٩-١٠ ، وقال تعالى : ﴿ فمن
يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً
يره ﴾ الزلزلة : ٧-٨ ، وقال تعالى : ﴿ فأما من ثقلت
موازينه فهو في عيشة راضية وأما من خفت موازينه فأمه هاوية
وما أدراك ماهية نار حامية ﴾ القارعة : ٦-٩ . وقال تعالى :
﴿ والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا

الصالحات ﴿العصر : ٣﴾ ، والأدلة على مسؤولية الإنسان بنفسه كثيرة جداً والمسئولية عظيمة أكيدة لكن بالأسف قليل من يفكر فيها ويقدرها والله المستعان .

وأما السنة فلا يعد ولا يحصى ما ورد من ذلك : ومن ذلك ما رواه الشيخان والترمذي والنسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «من تردى في جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردى فيها خالداً مخلداً فيها أبداً ، ومن تحصى سماً فقتل نفسه فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً ، ومن قتل نفسه بحديدة فحديده في يده يتوجؤ بها في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً» يتوجأ أي يطعن نفسه بها ويضرب نفسه إن كان القتل بالمثل ، وما رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «والذي يخنق نفسه يخنقها في النار والذي يطعن نفسه يطعن نفسه في النار ، والذي يقتحم يقتحم في النار» وما رواه الشيخان عن الحسن البصري قال : حدثنا جندب بن عبد الله في هذا المسجد فما نسينا منه حديثاً ، وما نخاف أن يكون جندب كذب على رسول الله فقال : كان برجل جراح فقتل نفسه فقال الله : «بدر عبدي

بنفسه فحرمت عليه الجنة . . » وفي رواية كان فيمن كان قبلكم رجل به جراح فجزع فأخذ سكيناً فجز بها يده فما رقاً عليه الدم حتى مات ، فقال الله « بادرني عبدي بنفسه » الحديث وفي لفظ « أن رجلاً كان فيمن كان قبلكم خرجت بوجهه قرحة فلما ءاذته نزع سهماً من كنانته فنكأها بها فلم يرقاً الدم حتى مات ، قال ربكم : « قد حرمت عليه الجنة » وروى ابن حبان عن جابر بن سمرة رضي الله عنه ، أن رجلاً كانت به جراحة فأتى قرناً له فأخذ مشقصاً فذبح نفسه فلم يصل عليه النبي ﷺ » قلت : لأنه ملك لله لا يملك من نفسه شيئاً حتى يتصرف فيها بالأذية أو بالقتل أو ببيع شئ منها أو بالهدية لغيره لأن التصرف فيها ممنوع شرعاً وعقلاً إلا بما ينفعها لا بما ينفع غيرها كقطع عضو فاسد يهدد صحتها ببقائه والله أعلم .

وقد قال رسول الله ﷺ في آخر حديث أبي مالك الأشعري عند مسلم : « كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها » أي بائع نفسه لله بطاعته . أو موبقها بالمعصية فيهلكها .



فصل في بيان الإحسان

وقد تقدم بيان ما قاله علماء التفسير في معناه عند ذكر آية النحل في أول البحث ، وهو من أحسن يحسن إحساناً إذا أتى بالعمل على الوجه المطلوب شرعاً وعقلاً وعادة ، وهو ضد الإساءة والخطأ والقبيح والفساد وينقسم إلى ثلاثة أقسام ، الأول منها إتقان العمل لله في توحيده وعبادته وامتنال أوامره واجتناب نواهيه ، والإيمان بكل ما أوجب الإحسان به من الإيمان بوجوده وبربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته وملائكته وكتبه ورسله وبالיום الآخر وبالقدر خيره وشره ، وهذا القسم هو المراد بقوله ﷺ في إجابته لجبريل عليه السلام حين سأله عن الإحسان ، قال « أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك » .

وهذا البيان منه ﷺ من باب بيان الشئ بأهم معانيه مع صحة بقية الأشياء التي يتوقف عليها صحة بقية جميع معانيه الأخرى ، لأن من لم يحسن عبادة ربه لا يكون محسناً بحال من الأحوال ولو كان عمله في الظاهر حسناً فهو في

الحقيقة منكر لقوله تعالى : ﴿ وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً ﴾ أي من الطاعات المتوقف قبولها على الإيمان وإخلاص النية فيها لله وقال تعالى : ﴿ إنما يتقبل الله من المتقين ﴾ وقال : ﴿ فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون ﴾ وقال تعالى : ﴿ وما منعهم أن تقبل نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله ورسوله ﴾ ثم بعد القيام بحق الله وإتقانه القيام بالحقوق التي أوجبها الله عليه مثل بر الوالدين وغيرهما من الحقوق الواجبة ، الثاني : القيام بإتقان العمل في جميع التطوعات المشروعة المأمور بها شرعاً من غير إلزام ولا إيجاب . الثالث ما يقوم به المسلم من جميع التبرعات والإفضال والإحسان إلى خلق الله حتى البهائم لحديث الرجل الذي رحم الكلب وسقاه ، ولقوله ﷺ « من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها » الحديث .

هذا ما يتعلق بالعباد ، وأما إحسان الخالق جل وعلا فهو كله تفضل وإكرام وإنعام لأن الله تعالى لا واجب عليه لأحد وهو المشرع والأمر والنهي المعبود بجميع الأعمال ، والعدل والإحسان متقاربان ، لأن في الإمكان أن نقول كل

إحسان عدل وليس كل عدل إحسان ، ألا ترى أن الله قد فرق بينهما في قوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها» وذلك عدل أباحه الله عليه ، ثم ذكر العفو الذي هو الإحسان ورتب عليه الأجر بقوله ﴿ فمن عفى وأصلح فأجره على الله ﴾ وقوله : ﴿ وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ﴾ ثم ذكر الإحسان فجعله خيراً للصابرين بقوله «ولئن صبرتم لهو خير للصابرين» والعقوبة بالمثل عدل ، وتركها والصبر عنها إحسان ، والله أعلم .

هذا بيان ما ورد من الأدلة في الأمر بالإحسان والحث عليه في كتاب الله قال الله تعالى : ﴿ وقلوا حطة نغفر لكم خطيكم وسنزيد المحسنين ﴾ البقرة : ٥٨ ، وقوله تعالى : ﴿ وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل ألا تعبدوا إلا الله وبالوالدين إحساناً وذي القربى واليتامى والمساكين وقلوا للناس حسناً ﴾ البقرة : ٨٣ ، وقوله تعالى : ﴿ بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ﴾ البقرة : ١١٢ ، وقوله تعالى : ﴿ ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين ﴾ البقرة : ١٣٥ . وقوله : ﴿ متاعاً بالمعروف

حقاً على المحسنين ﴿ البقرة ٢٣٢ ، وقوله تعالى : ﴿ الذين
ينفقون في السراء والضراء والكظمين الغيظ والعافين عن
الناس والله يحب المحسنين ﴾ آل عمران : ١٣٤ وقوله تعالى
﴿ فئاتهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب
المحسنين ﴾ آل عمران : ١٤٨ ، وقوله تعالى : ﴿ ومن أحسن
ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن ﴾ النساء : ١٢٥ .

وقوله تعالى : ﴿ فاعف عنهم واصفح إن الله يحب
المحسنين ﴾ المائدة : ١٣ ، وقوله تعالى : ﴿ فائتبهم بما قالوا
جنت تجري من تحتها الأنهر خالدين فيها وذلك جزاء
المحسنين ﴾ المائدة : ٨٥ ، وقوله تعالى : ﴿ ووهبنا له إسحق
ويعقوب كلا هدينا ونوحاً هدينا من قبل ومن ذريته داود
وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزي
المحسنين ﴾ الأنعام : ٨٤ ، وقوله تعالى : ﴿ إن رحمت
الله قريب من المحسنين ﴾ الأعراف : ٥٦ ، وقوله تعالى :
﴿ ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم ﴾ التوبة : ٩١
وقوله تعالى : ﴿ ولا ينالون من عدو نيلاً إلا كتب لهم به
عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين ﴾ إلى قوله تعالى :

﴿ليجزئهم الله أحسن ما كانوا يعملون﴾ التوبة : ١٢٠ -
و١٢١ ، وقوله تعالى : ﴿للذين أحسنوا الحسنى
وزيادة﴾ يونس : ٢٧ وقوله تعالى : ﴿نبئنا بتأويله إنا
نراك من المحسنين﴾ يوسف : ٣٦ .

وقوله تعالى : ﴿نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع
أجر المحسنين﴾ يوسف : ٥٤ ، وقوله تعالى : ﴿فخذ أحدنا
مكانه إنا نراك من المحسنين﴾ يوسف : ٧٨ ، وقوله تعالى :
﴿إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين﴾
يوسف : ٩٠ ، وقوله تعالى : ﴿للذين أحسنوا في هذه الدنيا
حسنة ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين﴾ النحل : ٣٠ ،
وقوله تعالى : ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسن﴾
النحل : ٩٠ ، وقوله تعالى : ﴿إن الله مع الذين اتقوا
والذين هم محسنون﴾ النحل : ١٢٨ ، وقوله تعالى :
﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً﴾
الإسراء آية : ٢٣ ، وقوله تعالى : ﴿إن أحسنتم أحسنتم
لأنفسكم وإن أسأتم فلها﴾ الإسراء : ٧ ، وقوله تعالى :
﴿إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن

عملاً ﴿ الكهف آية : ٧ وقوله : ﴿ إنا لا نضيع أجر من
 أحسن عملاً ﴾ الكهف : ٣٠ ، وقوله تعالى : ﴿ وبشر
 المحسنين ﴾ الحج : ٣٧ ، وقوله تعالى ﴿ ولما بلغ أشده
 واستوى ءاتيناهُ حكماً وعلماً وكذلك نجزي المحسنين ﴾
 القصص آية : ١٤ . قال الله تعالى : ﴿ والذين جاهدوا فينا
 لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين ﴾ العنكبوت : ٦٩ ،
 وقوله تعالى : ﴿ وإن كنتم تردن الله ورسوله والدار الآخرة
 فإن الله أعد للمحسنين منكم أجراً عظيماً ﴾
 الأحزاب : ٢٩ وقوله تعالى : ﴿ سلم على نوح في العالمين
 إنا كذلك نجزي المحسنين ﴾ الصافات : ٨٠ ، وقوله
 تعالى : ﴿ سلم على إبراهيم كذلك نجزي المحسنين ﴾
 الصافات : ١٠٩-١١٠ وقوله تعالى : ﴿ سلم على
 موسى وهرون إنا كذلك نجزي المحسنين ﴾
 الصافات : ١٢١ ، وقوله تعالى : ﴿ سلم على إيل ياسين إنا
 كذلك نجزي المحسنين ﴾ الصافات : ١٣١ ، وقوله تعالى :
 ﴿ للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة وأرض الله وسعة
 إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ﴾ الزمر : ١٠

وقوله تعالى : ﴿ ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى
 الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين ﴾ فصلت : ٣٣ ،
 وقوله تعالى : ﴿ وبشرى للمحسنين ﴾ الأحقاف : ١٢ ،
 وقوله تعالى : ﴿ ووصينا الإنسان بوالديه إحساناً ﴾
 الأحقاف : ١٥ ، وقوله تعالى : ﴿ ليجزي الذين أسئوا بما
 عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى ﴾ النجم : ٣١ ،
 وقوله تعالى : ﴿ هل جزاء الإحسن إلا الإحسن ﴾
 الرحمن : ٦٠ ، وقوله تعالى : ﴿ الذي خلق الموت
 والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً ﴾ الملك : ٢ .

هذا آخر البحث وأسأل الله العلي القدير أن
 ينفع به جميع المسلمين في الحاضر والمستقبل ويرزقني
 الإخلاص في القول والعمل ، وأن يجعله من الأعمال التي
 لا تنقطع بالموت حتى القاه به ويوفي لنا أجره إنه قريب
 مجيب ، وءاخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

تنبيه : قد يقول قائل قد أكثر من ذكر

الأدلة من الكتاب والسنة مع أن دليلاً واحداً يكفي منهما ؟

الجواب سبب الإكثار من الأدلة أن هذا البحث له من

الأهمية ما لا يخفى على مسلم عاقل فضلاً عن طالب علم ،

وأن طبائع الناس مثل طبائع أصلهم الأرض منه ما لا ينتفع

ولا ينبت إلا بتوالي الأمطار ، والأدلة بمشابة الأمطار على

الأرض ، ولذلك أكثر خالقهم ومصرف قلوبهم من الأدلة

عليهم ليقيم الحجة عليهم ليهلك من هلك عن بينة ويحيى

من حي عن بينة ﴿ وما ربك بظلام للعبيد ﴾ .

وسلام على المرسلين

والحمد لله رب العالمين



الفهرس

كتاب «البيان في حقيقة العدل والإحسان»

٣	تعريف العدل لغة وشرعا
٥	المقدمة
٨	بيان أقوال أئمة التفسير في تفسير آية النحل
٨	تفسير الطبري
١٠	تفسير القرطبي
١٥	تفسير ابن كثير
١٧	تفسير أضواء البيان
٢٢	أيسر التفاسير
٢٣	ذكر الآيات التي تحض على العدل
٢٦	المواضع المطلوب فيها العدل وهي ١٥
٢٦	العدالة في حق رسول الله ﷺ
٢٧	العدالة في حق رسول الله ﷺ
٢٩	العدالة في حق ولاية الأمور
٣٨	العدالة في حق الرعية

٤٠	العدالة في حق الوالدين
٤٤	العدالة في حق البنين
٤٨	العدالة في حق الأزواج على الزوجات
٥٠	العدالة في حق الزوجات
٥٢	العدالة في حق الأقارب والرحم
٥٧	العدالة في حق الجيران
٥٩	العدالة في حق الرقيق والخدم
٦٣	عدالة العبد في حق سيده
٦٣	العدالة العامة في حق الإسلام والمسلمين
٧٥	العدالة في البهائم والحيوانات
٧٩	عدالة كل إنسان في حق نفسه
٨٣	فصل في بيان الإحسان
٨٣	تعريفه وإنقسامه إلى ثلاثة أقسام
٨٥	ما ورد من الأدلة في الأمر به من القرآن
٩٠	تنبيهه
٩١	الفهرس



۸۳۶۸۳۸۲ ☎